

21112
STA

البداء والتلاخ

المبشور الى الجريد احمد بن سماعيل البلخي

و مولاه بن طاهر المقدسي

المتوفى بغداد سنة ٥٠٧ الهجرية



لحميد طبع سنة ١٩٦٢

و يطلب من مكتبة

الاسدي ميدان بهارستان
ظهرت

2442
SIA

فهرس الجزء الاول من كتاب البدء والتاريخ

| العنوان | الصفحة |
|--------------------------------------|--------|
| كلمة المؤلف فى بيان علة تأليف الكتاب | ١-٨ |
| ذكر فصول الكتاب وفهرسها على التفصيل | ٨-١٧ |

الفصل الاول فى تثبيت النظر وتهذيب الجدل

| | |
|---|-------|
| تعريف العلم وطريق حصوله | ١٩-٢٠ |
| كمية العلوم ومراتبها وبيان حقائقها | ٢٠-٢٣ |
| تعريف العقل وما قاله أرسطو وبعض الفلاسفة فى ذلك | ٢٣-٢٧ |
| القول فى الحسن* والمحسوس | ٢٧-٢٨ |
| درجات العلوم وتقسيمها الى واجب وسالب وممكن | ٢٨-٢٩ |
| تحقيق فى معنى الحد* وما قاله بعض الحكماء فى ذلك | ٢٩-٣٠ |
| تحقيق فى معنى الدليل وما قيل فى ذلك | ٣٠-٣١ |
| تحقيق فى معنى العلة | ٣١-٣٢ |
| تحقيق فى معنى المعارضة وما قيل فى ذلك وبيان اقسامها | ٣٢-٣٣ |
| تحقيق فى معنى القياس وما قيل فى ذلك | ٣٤ |
| تحقيق فى معنى الاجتهاد والنظر | ٣٤-٣٥ |
| الفرق بين الدليل والعلة | ٣٥ |
| القول فى الدليل | ٣٦ |
| القول فى الحدود وبيان حقيقة الشئ والجسم والجوهر | ٣٧-٣٩ |
| بيان الاقوال فى الجزء الذى لا ينتج | ٣٩-٤١ |

- ٤١ بيان حدّ الزمان وما قاله أفلاطون في ذلك
- ٤٢ بيان حد المكان وما قيل في الخلاء والفضاء
- ٤٣ بيان حد الاسم والوصف والقول والمعنى والحركة والجنس والنوع
- ٤٤ القول في الاضداد
- ٤٤-٤٨ القول في حدث الاعراض وبسط الكلام في ذلك
- ٤٨-٤٩ السوفسطائية والردّ عليهم
- ٤٩-٥٠ في الرد على من يبطل النظر ومن يدعى ان لا دليل على النافي
- ٥٠-٥١ مراتب النظر و حدوده
- ٥١-٥٣ بسط كلام في علامات الانقطاع عن الحجة
- ٥٣-٥٥ السكوت بعد استقرار الحق ابلغ من الكلام في الذبّ عنه

الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيده بالدلائل القطعية

- ٥٦ الأدلة على اثبات الله عز وجل غير متناهية
- ٥٧-٥٨ من الأدلة أن الامم المحمودّة غير مختلفين في وجود آثار الصانع
- ٥٩-٦٠ ومنها أن الناس ولهون فزعون اليه تعالى في المكاه والشدائد
- ٦٠-٦٤ ومنها ان الناس في اقطار الارض يسمّونه تعالى بخواص من أسمائه
- ٦٤ ومنها وجود العالم والنظام الواقع فيه
- ٦٥ ومنها النفاض الواقع في الموجودات من الانسان والحيوان والنبات والجماد
- الفكرة في جميع الموجودات حتى الصغيرة منها تهدي الانسان
- الى الصانع عز وجل
- ٦٥-٦٧
- ٦٨ ذكر أمثال لتقريب الذهن في اثبات الصانع
- ٧٠ الردّ على من يقول أن العالم من فعل الطبائع

- ٧١ حدوث الشيء دليل على كونه مصنوعاً ومخلوقاً
- ٧١ ما نقل عن بعض الحكماء في اثبات الصانع
- ٧٢ ومن الدلائل فسخ العزم ونقض الهمة
- ٧٢-٧٤ ذكر آيات من القرآن في هذا الباب
- ٧٤ ذكر حديث بليغ في هذا الباب
- ٧٥-٧٨ شعراء الجاهلية يشيرون إلى الله تعالى في أشعارهم مع كفرهم به
- ٧٨ التفنيس عن ذاته تعالى محال
- ٧٩ ما قاله رسول الله (ص) لسائل سأله عن كيفية الله تعالى وهويته
- ماروى عن رسول الله (ص) في أن الشيطان يدعو الانسان إلى السؤال
- ٨٠ عن ماهيته تعالى
- ٨٠ جميع الناس مقرّون بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر
- ٨١ ليس كل ما يدرك يوصف
- ٨٢-٨٣ الله تعالى ليس كالنفس أو العقل
- ٨٣-٨٤ هوية الله تعالى لا يدرك و اوصافه عين ذاته
- ٨٤-٨٦ نقل كلام بعض المتكلمين في ماهيته تعالى ومنع الخوض في ذلك
- ٨٦-٨٨ في اثبات التوحيد
- بيان قول المجوس بإله الخير والشر واختلافهم في قدم الشرير
- ٨٨-٩٠ وحدوثه و وهن عقيدتهم
- ٩٠-٩١ ما قاله الثنوية في ذلك وبيان فساد عقيدتهم
- ٩١-٩٢ إضحام جعفر بن حرب الثنوية
- ٩٣-٩٤ القول بابطال التشبيه

الفصل الثالث في صفاته وأسمائه

- ٩٥ اوصاف الله تعالى على قسمين : صفات الذات وصفات الفعل
- ٩٦ نقل اقوال المتكلمين في ذلك
- ٩٧-٩٩ ما قاله المعتزلة في صفات الذات والرد عليهم
- ٩٩-١٠٣ القول في أساميهِ تعالى وما قاله المتكلمون في ذلك
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في تناهي ذاته وعدمه
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في كلامه وادارته تعالى
- في أنه تعالى محيط بكل مكان ونقل بعض الاقوال المزيّفة في أنه
- على المكان - وسبحانه عما يفترون -
- ١٠٤
- ١٠٤-١٠٦ في علمه تعالى وما قاله بعض الناس في ذلك والرد عليهم
- ١٠٦ الكلام في قدرته تعالى على المحال
- ١٠٧ الكلام في انه تعالى هل يقدر على الجور أم لا
- ١٠٧ الكلام في أن قدرته تعالى هل هي علمه أو غيره
- ١٠٧-١٠٨ كلام موجز في الجبر والاختيار وخبر الامور

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة و ايجاب النبوة

- ١٠٩-١١٠ نقل كلام البراهمة في انكار الرسل والرد عليهم
- ١١٠-١١١ كلام في رد من يقول لم لم يجعل الله كل أحد نبياً ؟
- ١١٢ كلام آخر في ايجاب النبوة ولزوم المعجزة للنبي
- ١١٣ كيفية الوحي والرسالة
- ١١٣-١١٤ كلام في كيفية القول والفعل من الله تعالى

الفصل الخامس فى ذكر ابتداء الخلق

- ما هى حكمة الخلقة وعلتها؟ ١١٥-١١٦
- بسط كلام فى رد المعطلة القائلين بقديم العالم ١١٦-١٢٣
- ذكر بعض الأدلة فى حدوث العالم ١٢٣-١٢٩
- إثبات الحدوث و ردّ الاشكالات الواردة فى ذلك ١٢٩-١٣٥
- ما حكاه افلوطرخس من أقاويل الفلاسفة فى ابتداء الخلق ومبدء
الموجودات ١٣٥-١٤٠
- ما زعمه ايوب الرهاوى فى المقام ١٤٠
- ما حكاه بعض أهل الاسلام عن الفلاسفة فى هذا المقام ١٤٠-١٤٢
- ما قاله الثنوية والحرّانية فى ذلك ١٤٢-١٤٤
- مقالة اليهود والنصارى فى ابتداء الخلق ١٤٥-١٤٦
- ذكر مقال أهل الاسلام وبعض الروايات فى بدء الخلق ١٤٦-١٥١
- البحث والتنقيب فيما قاله الملل المختلفة فى ذلك وتصويب
أرجح المذاهب ١٥١-١٥٦
- ذكر أول ما خلق فى العالم العلوى والسفلى وفذلكة البحث ١٥٦-١٦٠

الفصل السادس ذكر اللوح والقلم والكرسى والملائكة

والصور والصراط والميزان والحوض وسائر ما يعد

من أمور الآخرة

- ذكر ما قاله أكثر المفسرين فى اللوح والقلم والمحو والاثبات ١٦٠-١٦٣
- ما قاله بعض المتفلسفين فى ذلك وذكر رواية ابن عباس ١٦٣-١٦٤

| العنوان | الصفحة |
|--|---------|
| ذكر العرش والمراد منه | ١٦٦-١٦٤ |
| ذكر الكرسي والمراد منه | ١٦٦ |
| ما قيل في حملة العرش | ١٦٧-١٦٨ |
| ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها | ١٦٩-١٧٢ |
| ذكر بعض الروايات في صفات الملائكة | ١٧٢-١٧٧ |
| هل الملائكة مكلفون أم مجبورون ؟ | ١٧٧-١٧٨ |
| هل الملائكة افضل أم صالحوا لمسلمين | ١٧٨-١٨١ |
| ذكر ما جاء في الحجب | ١٨١-١٨٣ |
| ذكر ما جاء في سدرة المنتهى | ١٨٣-١٨٤ |
| لزوم الجزاء لأعمال العباد | ١٨٤-١٨٥ |
| ذكر اختلاف الملل المختلفة في الجنة والنار وبين بعض أقوالهم | ١٨٦-١٨٨ |
| ذكر اختلاف المسلمين في ذلك وبين آرائهم | ١٨٨-١٩٠ |
| بعض الآيات والروايات الواردة في صفة الجنة وأهلها | ١٩٠-١٩٤ |
| بعض الآيات والروايات الواردة في صفة النار وأهلها | ١٩٤-١٩٧ |
| ذكر اختلاف الملل المختلفة في بقاء الجنة والنار وفنائهما | ١٩٧ |
| ما يقوله السمنية من الهند في التناسخ | ١٩٨-١٩٩ |
| ما زعمه اليهود في فناء الجنة والنار وبقائهما | ١٩٩-٢٠٠ |
| ذكر اختلاف المسلمين في هذا الفصل | ٢٠٠-٢٠٢ |
| كانت العرب في الجاهلية تؤمن بالجزاء | ٢٠٢ |
| كلام في الصراط ومرور الناس عليه | ٢٠٣-٢٠٥ |
| ماروى في الميزان والمراد منه | ٢٠٥-٢٠٧ |
| الاعراف والصور والحوض | ٢٠٧-٢٠٨ |

كِتَابُ الْبَدْءِ وَالتَّارِيخِ

لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي

قد اعتنى بشره وترجمته من العربية الى الفرنسية
الفقيه المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسية
وكاتب السرّ و مترجم الحكومة المشار اليها ومعلم في مدرسة
الالسنة الشرقية في باريس

الجزء الأول



يُباع عند الخواجه أُرْتُنت لِرُو الصُحف
في مدينة باريس

١٨٩٩
سنة ميلادية

كِتَابُ
الْبَدءِ وَالْتَّأْرِیْخِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

كِتَابُ الْبَدءِ وَالتَّارِيخِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبه الحول والقوة

[F° 1 v°] تَسْلَقَ الزَّائِفُونَ عَنِ الْمَحْجَةِ فِي التَّلْبِيسِ عَلَى الضَّعْفَاءِ
وَتَمْلُقَ الْمُنْخَرِفُونَ عَنِ نَهْجِ الْحَقِّ فِي أَفْسَادِ عَقِيدَةِ الْأَغْيَاءِ
مِنْ طَرِيقِ مَبَادِي الْخَلْقِ وَمَبَانِيهِ وَمَا إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَمَالَهُ تَمَلُّقًا
بِهِ يَنْبَهُونَ غِرَّةَ الْغَافِلِ وَيُحِيرُونَ فَطْنَةَ الْعَاقِلِ وَذَلِكَ مِنْ
أَنْكِ مَكَائِدِهِمْ لِلدِّينِ وَاتَّخَذُوا لِبُلُوغِهِمْ فِي انْتِقَاضِ الْمُوَحِّدِينَ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرُهُ^١ وَيُطْلَى كَلِمَتُهُ وَيُفْلَجُ حُجَّتُهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^١ وَأَنَّ مِنْ عَظِيمِ الْآفَةِ عَلَى عَوَامِ الْأُمَّةِ
تَصْدِيهِمْ لِمُنَازَرَةِ مَنْ نَظَرَهُمْ بِمَا تَخَيَّلُ فِي أَوْهَامِهِمْ وَانْتَصَبَ
فِي نَفْسِهِمْ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَاضٍ بِطَرُقِ الْعِلْمِ وَلَا مَعْرِفَةِ بَاوْضَاعِ

^١ Qur., sour IX, v. 32.

القول ولا تحكك بأدب الجدل ولا بصيرة بمخائلك الكلام ثم
 القأؤهم بأيديهم عند أول صاكة تصك أفهامهم وقارعة
 تفرع أسماعهم ضريعين خاشعين مُستجدين مُستقلين الى ما لاح
 لهم بلا اجالة روية ولا تنعير(?) عن خبيثة وعلى اهل الطرف
 والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر
 المستفيض والإيجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة
 وان كانت ناحلة المغانى فخيفة المغانى ضعيفة الضمان واهية
 القواعد فمضاري نظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان
 التى هى وثاق الله تعالى فى سياسة خلقه وملاك امره ونظام
 الألفة بين عباده وقوام معاشهم والنبيه على مادهم الرادع لهم
 عن التباغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل
 والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل
 ومحمود ثواب الآجل فتعرض الى ما هو منهى عنه فى حكمة
 العقل التعرض له من الاستهداف بقذح القادح واستدعاء
 مقت الماقت والسعى فى افساد ذات البين والاستشراف للفتنة
 وتلبيس الحق على الضعفة وأكثر ما يعترى هذه البليّة طبقة
 اهل اللسان والبيان يظنون ظنوناً كاذبةً ويسمون بهم قاصرة

الى حيث يحجم هم البارز النقاب عن التطلع الى أدناه ويحق ما ذكره العتيبي في كتابه وان كان دخيلا في صناعته متكلفا ما ليس من بزمته حيث قال في صفة هذه الطبقة قد رضى من الله ومن عباده عوضا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف يذهب إلى ان لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغشاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهى به أليق فى اخوات لهذه كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم واسبل الحق جناحه عليه بقى مهووتا منقطعا قد خانت مفرته وكذّبه أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضحكة للناظرين ومثالا سائرا فى السامعين بعد أن كان يظن ضحكة لفضل علم او بيان وكفى ذلّا وحزنا ودناءة ونقصا لراض بهذه المنزلة ومعترا بتفريط السفلة مقبلا على حلمه وعظمه مضيقا أيام أدبه وعلمه ومن كانت هذه حاله فحق له النكال والنكير فى العاجل س ما يبوئ به من ناهض الائم وعظيم الإضرار . . . بس وس . . . عظم ذلك على ارباب القلاس وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشّحون له
 [٢٥ ٢ ٢٥] بلاد واعية مقدّماته مستحلبين أفئدة العامّة بإطرآء
 مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب
 التي رووها مستأكلّة القصّاص عن أحداثٍ في العقل
 مردودة وعجيوبة عن الفهم محجوبة حتى شحّخوا صدورهم
 بثرّات الأباطيل وضمّخوا قوسهم بالأسمار والأساطير فهم الى
 كلّ ناعقٍ سراع وعن كلّ ذي حقٍّ بطاءٌ وللتبّع متعرضون
 وعن الواجب مُعرضون المحقّ فيهم مبطل والمُدقّ مُلحد والمخالف
 لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جلّ طارّ اشهى
 اليهم من الحديث عن جلّ سارّ وروفا مريّة آثر عندهم من
 رواية مروية فهذه الخطّة كانت سبب حرمان العلم
 وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان والتوسيع للطاعن
 في الدين وتسهيل القادحين بالصخب والشغب والشنعة وردّة
 العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كنفه او يخفض
 جناحه او يُسفر عن وجهه إلا لتجرّد له بكليته ومتوقّف عليه
 بأنيته^١ مُعانٍ بالقريحة الثاقبة^٢ والرؤية الصافية مقرّناً

١ بأنيته Ms.

٢ الباقية Ms.

به التأييد والتسديد قد شتر ذيله واسهر ليله حليف النصب
ضجيع التنب يأخذ مأخذه متدرجاً ويتلقاه متطرفاً لا
يظلم العلم بالتعسف والافتحام ولا يخط فيه خط المشواء في
الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبة
الإلف ونبد المحاكلة واللجاجة واجالة الراعى عن غموض
الحقّ والتأني^١ بلطيف المأتى وتوفيقه النظر حقه من التمييز بين
المشبه والمتّضح والتفريق بين التمويه والتحقيق والوقوف عند
مبلغ العقول فعند ذلك إصابته^٢ المراد ومصادفة المرتاد
وبالله التوفيق والرشاد، ولما نظر فلان اطل الله في طاعته
بقّاه وبلغ من العلوم مناه الى احوال هذه الطبقة وما قد
يقسمهم من الهم وتوذّعهم من انواع النحل وتصحّ مذاهبهم
اشتاق^٣ نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتمييز الأصوب
من اشادانهم فأمرني لازال أمره عالياً وجدّه صاعداً أن أجمع
له كتاباً في هذا الباب منخطاً عن درجة الملو خارجاً عن حدّ
التصير مهذاً من شواب التريّد مصفّى عن سقاط الغسالات^٤

^١ Ms. التالى.

^٢ Ms. واستتقت.

^٣ Ms. أصابه.

^٤ Ms. الغسالات.

وخرافات الهجائز وتزاوير القصاص وموضوعات المتهمين من
المحدثين رغبةً منه في الخبر الذى طبعه الله عليه وامتناعاً للحق
ومناصلة^١ عن الدين واحتياطاً له وذنباً عن بيضة الاسلام
ورداً لكيد مُناويه وارغاماً لائف فاشخيه وتحرزاً عن أن
يُصيب الحَنَقُ الموقر يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعناً
فتسارعتُ الى امتثال ما مثل وارسام ما رسم وتبعت صحاح
الأسانيد ومتضمنات التصانيف وجمعتُ ما وجدتُ في ذكر مبتداء
الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم السلم
وأخبار الأمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب
والهجم وما روى من امر الخلفاء من لدُن قيام الساعة الى
زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمس وخمسين من هجرة نبينا
محمد صلعم وما حُكى أنه واقع بمدُّ من الكوائن والفتن
والهجاب بين يدى الساعة على نحو ما بُين وفُصل في الكتب
المتقدمة [٢٧٢] والاعبار المورخة من الخلق والخلائق واديان
اصناف الأمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

^١ Ms. مناصرة.

^٢ Ms. فاشحه.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلام من
 المغازى والفتوح وغير ذلك مما يربك في تفصيل الفصول
 وانما نهنا على ما أردنا قول الحكماء اول العمل آخر التفكير
 وذلك انا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدأ من تصحيح
 الحجاج في ايجاب ابتدائه ولم يصح لنا تثبيت ذلك الا
 باثبات مُبديه سابقا بخلقه ولا امكن اثباته الا بعد بيان
 طرق التوصل اليه فابتدانا بذكر دَرَو من حدود النظر والجدل
 ثم ايجاب اثبات القديم المبدئ المبدأ ثم ابتداء الخلق ثم ما
 يتلو ذلك فصلاً فصلاً وباباً باباً حتى اتينا على آخر ما كان
 الغرض والمقصود به ، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من
 العلماء والعظماء والملوك في قديم الزمان وحديثه يرغبون في
 تخليد ذكرهم ويتنافسون في ابقاء رسمهم ويحرصون ان
 يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة
 ترغبا في اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر تَوْخِيَا منهم لعموم نفع
 الخير رَحْمَةً لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانية
 وغاية ما يؤمله العقل وتطمح اليه النفس حتى أن فيهم من

أَقْنَمَ الْمَالِكَ إِنْفًا لَذِكْرِ شَجَاعَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَ بِمَضْنُونِ
 النِّفَاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّفَ لَطَائِفَ النُّوَادِرِ بِالْأَثَارَةِ^١ وَالِاسْتِنْبَاطِ
 وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ مَنَارًا أَوْ بَنَى بِنَاءً أَوْ انْبَطَ مَاءً أَوْ كُلُّ يَجْرَى عَلَى
 فَدْرِ الْهَمَمِ وَالْإِرَادَاتِ لَمْ يَوْجِدْ وَاحِدَ مِنْهُمْ خَالِيًا عَنْ خَصْلَةٍ
 مِنَ الْخِصَالِ وَإِنْ عَمِيَ إِلَّا بِنَاءً دُونَهَا فَهَذَا الَّذِي دَعَا فَلَانًا إِدَامَ
 اللَّهُ تَمَكُّينَهُ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ وَالِارْتِيَاحِ إِلَى الْاِخْذِ بِأَخْذِهِمْ
 وَالتَّأْسَى بِأَسْوَتِهِمْ لَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ وَشَرَفِ
 الْهَمَّةِ وَبُعْدِ النُّورِ وَبُزْغَةِ الصَّلَاحِ وَحُبِّ الْخَيْرِ ثُمَّ مَا يَرْجُوهُ مِنْ
 حَسَنِ الثَّوَابِ وَكَرِيمِ الْمَأْتِ بِمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَبْصُرَ بِهِ مُسْتَبْصِرًا
 أَوْ يُرْشِدَ مُسْتَرْشِدًا وَيَهْدِيَ ضَالًّا وَيُرُدُّ غَاوِيًّا وَقَدْ وَسَمْتُ هَذَا
 الْكِتَابَ بِكِتَابِ الْبَدْءِ وَالتَّارِيخِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى اثْنَيْنِ
 وَعَشْرِينَ فَصَلًا يَجْمَعُ كُلَّ فَصَلٍ أَبْوَابًا وَاذْكَارًا مِنْ جِنْسِ مَا
 يَدُلُّ عَلَيْهِ ،

الفصل الاول في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ، وهو يجمع
 القول في معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها
 واقسامها والقول في العقل والمقول والقول في الحس والمحسوس

والقول في درجات المعلومات والقول في الحد والدليل والعلّة
 والمعارضة والقياس والنظر والاجتهاد والقول في الفرق بين
 الدليل والعلّة والقول في الحدود والقول في الاضداد والقول
 في حدث الاعراض والقول على أهل العنود^١ ومبطل النظر
 والقول في مراتب النظر وحدوده والقول في علامات
 الانقطاع

[٣٥ ٣ ١٤] الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيد الصانع،
 وهو يجمع الدلائل البرهانية والمحجج الاضطرارية والقول
 في جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بأن
 الباري واحد وفرد لا غير والقول بإبطال التشبيه،

الفصل الثالث في صفات الباري واسماؤه، وهو يجمع القول
 في الصفات والقول في الأسماء وما يجوز أن يوصف به وما
 لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة وإيجاب النبوة، وهو يجمع
 اختلاف الناس فيه وإيجابه بمحنة العقل والقول في كيفية
 الوحي والرسالة على ما جاء في الأخبار،

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق ، وهو يجمع ايجاب
حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والحجج وقول
القدماء في ايجاب الخلق وابتدائه وذكر حكايات اهل
الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرائية والمجوس وذكر
مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام في
المبادئ وذكر ترجيح أصوب المذاهب وذكر ما خُلق في
العالم العلوي من الروحانيات وأول ما خُلق في العالم
السفلي من الجسمانيات وسؤال السائل ممّ خُلق الخلق
وفيم خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق ولله خلق ،

الفصل السادس في ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسى
وحملة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها
والقول في الملائكة أمكلفون هم أم مجبورون وانهم افضل
من صالح وذكر ما جاء في الحُب وما جاء في سدره المنتهى
وذكر الجنة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس
في الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف
الناس في بقاء الجنة [والنار] وفنائها وذكر اختلاف الناس
في هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[٢٣ ٧] والاعراف وغيرها،

الفصل السابع في خلق السماء والأرض، وهو يجمع صفة السموات وصفة الفلك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما في الأفلاك والسموات كما جاء في الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينها واختلاف الناس في اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبها وكسوفها وانقراض الكواكب وغير ذلك مما يمرض في السماء وذكر الرياح والسحاب والأنثاء والرعد والبرق وغير ذلك مما يحدث في الجو وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشهبان وقوس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم في البحار والمياه والانهار والمد والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الارض وذكر قوله تعالى اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ^١ وذكر ما حكى في المدة قبل خلق الخلق وذكر مدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجن والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم،

^١ Qor., *passim*

الفصل الثامن في ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة في تأليف الحيوانات واختلاف المنجمين وسائر الناس في ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلق آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح في آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^١ وذكر دخول آدم الجنة وخروجه منها وذكر أخذ الذرية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس في آدم وقصته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفي الحواس من القدماء وأهل الكتاب وما جاء في القرآن من ذكرها وفي الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع في ذكر الفن والكواين الى قيام الساعة وما ذكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فناء العالم وانتهائه وذكر قول مَنْ قَالَ من القدماء بفناء العالم وذكر قول اهل الكتاب في هذا الباب وذكر ما جاء في مدة الدنيا وكَم مَضَى مِنْهَا وَكَمْ بَقِيَ مِنْهَا وذكر التأريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه في كتب اهل الاخبار وذكر ما بقى

^١ Qor., sour. II, v. 29.

من العالم وكم مدة [أمة] محمد صلعم [فيه] عما رواه أهل
 الأخبار وذكر ما جاء في أشراط الساعة وعلاماتها وذكر
 الفن [4^{re}] والكوائن الى آخر الزمان وخروج الترك والمدة
 في رمضان والهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود
 وخروج السفيناتي وخروج القحطاني وخروج المهدي وفتح قسطنطينية
 وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلم وطلوع
 الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وذكر الدخان
 وخروج ياجوج وماجوج وخروج الحبشة وذكر فقدان
 الكعبة وذكر الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر
 ارتفاع القرآن وذكر النار التي تخرج من قعر عدن تسوق
 الناس الى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر
 صفة الصور واختلاف أهل الكتاب في صفة ملك الموت
 وذكر ما بين النفتين وذكر اختلافهم في قوله تعالى
 'إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ' وذكر المطرة التي تُنبت أجساد الموق وذكر
 المحشر وذكر اختلاف الناس في كيفية المحشر وذكر
 الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طي السماء وذكر يوم

القيامة وذكر ما قيل مما هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكي
عن القدماء في خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده
في هذا الباب

الفصل العاشر في ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام ومدة
اعمارهم وقصص أهمهم واخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،
الفصل الحادى عشر في ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور
أيامهم الى مبعث نبينا محمد صلعم،

الفصل الثانى عشر في ذكر اديان اهل الارض ونحلهم
ومذاهبهم وادانهم من اهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر
المُطلة وذكر اصناف الهند وشرائعهم وملهم واهوانهم وذكر
اهل الصين وذكر ما حكي من شرائع الترك وذكر شرائع
الخرانيين وذكر اديان الثنوية وذكر عبدة الاوثان وذكر
مذاهب المجوس وذكر مذاهب الحرمية وذكر شرائع اهل
الجاهلية وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر في ذكر أقسام الارض ومبلغ أقاليمها،
وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعروف من البحار

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت
 وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٣٤٧] وذكر
 بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق
 والجزيرة والسواد وآذربيجان وارمينية والاهواز وفارس
 وكرمان وسجستان ومكران والجيل وخراسان وما وراء النهر
 وذكر المساجد والباق الفاضلة مثل مكة والعراق وذكر
 الثغور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الارض وعجائب
 اصناف الناس وذكر ما بلغنا من المدن والقرى ومن بناها
 وأنشأها وذكر ما جاء في خراب البلدان،

الفصل الرابع عشر في أنساب العرب وأيامها المشهورة،

الفصل الخامس عشر في مولد النبي ومنشأه ومبعثه الى
هجرته صلعم،

الفصل السادس عشر في ذكر مقدم رسول الله صلعم الى
المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته،

الفصل السابع عشر في صفة خلق رسول الله صلعم وخلق
وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدة عمره وذكر أزواجه وأولاده
وقراباتة وخبر وفاته وذكر معجزاته،

الفصل الثامن عشر في ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر خُلائهم ومدة أعمارهم وأبداؤه إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقب،

الفصل التاسع عشر في اختلاف مقالات أهل الإسلام، وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبهة وفرق المعتزلة وفرق المرجئة وفرق الصوفية وفرق أصحاب الحديث رضهم،

الفصل العشرون في مدة خلافة الصحابة وما جرى فيها من الفتوح والحوادث إلى زمن بني أمية وهو يجمع خلافة أبي بكر رضه وما كان في أيامه من الردة والتنبى والفتوح وخلافة عمر رضه وما كان في أيامه من الفتوح وخلافة عثمان وما كان في أيامه من الفتوح والقتل وخلافة علي بن أبي طالب رضه وما كان في أيامه من الفتن وذكر الجمل وصيقين والنهروان [٢٥٥] وخروج الخوارج عليه وذكر الحكمين وخلافة الحسن بن علي رضهما إلى أن غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادى والعشرون في ذكر ولاية بني أمية على الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

والختار بن ابى عُبَيْد وهو يجمع قِصَّةَ زِيَاد وموت المفيرة وعمره
ابن العاص ووفات الحسن بن على رضاها وأخذ معاوية البيعة
ليزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين
ابن على رضاها وقِصَّةَ عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرّة
وموت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر
فتنة ابن الزبير الى ان قتله الحجاج فى ولاية عبد الملك
ابن مروان الى آخر أيامهم،

الفصل الثانى والعشرون فى عدد خلفاء بنى العباس من سنة
اثنين وثلاثين ومائة الى سنة خمسين وثلاثمائة،

فالناظر فى هذا الكتاب كالمشرف المطلع على العالم مشاهدًا
حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدوثه الباقي
بعد انجلائه ودثوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين
قوة وللبتدى رياضة وللمستأنس به سلوة وللتفكر فيه تبصرة
وعبرة وهو الذى مكارم الاخلاق داع وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل
أن ينفعنا ومن ينفعه بما ضلّ رأودع وان ينهنا عن سيئة
الفلة ويوقنا رغيًا حسن الإصابة إنه سميع قريب*

ألفصلُ الأولُ

“ في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ”

أقول وبالله التوفيق ومَن عندهُ العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحق والتمييز بينه وبين ما يضافه لاغناء بأحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذ قد يعترض من الفكر والتخايل والأوهام انفسادة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحق ويتغلب عندها الظن والشك وليس ما يميز بينها ويدلّ على صحّة الصحيح وبُطلان الباطل منها إلّا النظر وبه يعترف السؤال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب العادل فلندكر الآن منه لمعاً لهم ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للنّاظر وقوّة للنّاظر ثمّ من بعد يستقصيه ان [شاء] اللّٰه في

كتاب انتسناه على هذا النوع وسَميناه كتاب العلم والتعليم
ومن عند الله المصصة والتوفيق، أقول أن العلم اعتقادُ
الشيء على ما هو به إن كان محسوساً فبالْحس وإن كان معقولاً
فبالْعقل والْحس والعقل أصل ما تَرَدُّ إليه العلوم كلها فمَقْضِيَا
بإثباته ثبت وما قَضِيَا بَنفِيهِ انتفى هذا إذا كانا سليمَيْن من
الآفات بَرْتَيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من
عشق عادة الالف والنشو [٢٥٧] لا يكاد يقع حينئذٍ في
محسوسه ومعقوله اختلاف إلا من مخالف أو من معاند لأنَّهما
على ضرورة لا يمترض للْحس شكٌّ في هيئة المحسوس وصورته
ولا يقدر المضطرُّ ببديهة عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتبينه
ولا يُصدِّق مَنْ يدَّعي خلافه ولو كان مضطراً إلى دعواه كما
اضطرَّ في حواسه لما ظهر من أحد خلافاً ولا احتيج إلى كسر
قوله والكشف عن عوارِ كلامه ألا ترى أنه يستحيل أن
تجد الحاسة النار باردةً والثلج حاراً في الظاهر كما يستحيل أن
يكون المعلوم متحرِّكاً ويعلم ساكناً أو يكون في نفسه
أبيض ويقع العلم بأنه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم
كلها رأساً وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد من

ادعاء السمع البصر والبصر السمع والحي ميتا وميت حيا وهذا محال
لأن العلم اذا كان ادراك الشئ على ما هو به من حدٍ وحقه
ثم لم يدرك ذاته كما هو لم يكن معلوماً وكذلك الحسن إذا لم
يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوساً وهذا لا خلاف فيه
بين التمييز الماقلين قاطبةً إلا رجلين اثنين أحدهما العامي
الذي لا نظر له لاغفاله آخذاً له استماله ومتى لاح له
الحق اتبعه وانقطع خلافه لان قوله ذاك عن حدس وظن
وسماع وتقليد فإذا قرع سمعه ما يشهد بتصديقه قلبه مال
اليه وقبله والثاني الجاحد المانء الذي يستيه القدماء
السوفسطائي وسنذكر فساد مذهبهم في موضعه ان شاء الله
تعالى ، وضد العلم الجهل ومعناه اعتقاد الشئ على خلاف ما هو
به وليس كل من لا يعلم جاهلاً بالاطلاق ولكن الجاهل في
الحقيقة التارك طلب حد الشئ وحقه المعتقد له على غير
ما هو به ولولا ذاك لما استحق اللائمة والمذمة على
جهله ،،

القول في كمية العلوم ومراتبها ، أقول أن اسم العلم قد يُطلق
في الجملة على الفهم والوهم والذهن والفتنة واليقين والخطرة

والمعرفة وكل ما يحصل منه ادراك شئ ظاهراً أو باطناً
 ببديهة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالأستدلال
 والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأن هذه الخصال
 كلها آلات ادراك العلم وطرق التوصل اليه ومما يصاب من
 هذه الجمة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواس [أ] لا
 ترى ان الإنسان الناقص المميز مضطر إلى شواهد عقله وحسّه
 غير مضطر إلى استدلاله وبحسّه أو لا ترى أن لاسبيل إلى
 البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أصيب بحسّه فأول
 العلم الخطرة الصادقة وهو كالبدية مثلاً بز. بقوة البديهة
 وآخره اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشك والشبهة عنه
 وإنما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنه قد يخطر النفس
 والهوى والطبع والعادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ
 من آخر العلم اليقين الذي يُحيط بالاشياء على وجهها ويدركها
 بكنها والمعرفة ادراك أيّنية الشئ وذاته فن قائل أنها
 ضرورة وآخراتها [٢٥٨] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم ان
 العلم الإحاطة بذات الشئ عينه وحده والمعرفة ادراك ذاته.

وثباته وان لم يدرك حدّه وحقيقته فالعلم اعمّ وابلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلوماً ألا ترى أنّ الموحّدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلّا بالاثبات لأنّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيتان، والوهم اعتقاد صورة شئ محسوس او مطنون وان كان منقياً وجوذه في الظاهر لأنّ قوّة الوهم في انبساطها تضعف فلذلك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلك العين اذا امتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرءى عنها رآته على خلاف ما هو به من الصغر والعظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها فلا يمّسها الوهم ولا يتصوّر في النفس والفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والفتنة قريبة المعنى من الذهن وأنما احتجنا الى هذا لأنّ كثيراً من الناس يولمون بالبحث عن هذه الأسمى ويستفرون بينها واما الأسباب التي يتوصّل بها الى ما خفى من العلم فالفكرة وهي البحث عن علّة الشئ وحدّه الرأى والروية والاستنباط انتزاع ما في طيّ العقول والمحسوس والاستدلال والاجتهاد وقد عدّ قوم ميل العادة والطبع ألا ما يميلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أصول العالم وطرقها ومحصولها
 راجع الى ثلاثة أصناف الى المعقول بديهة والمحسوس ضرورة
 لأن ما يدرك يهما يدرك بلا واسطة ومقدمات والثالث
 المستدل عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيهما
 الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيز الحاسة والبديهة
 وتفاوت قوى المستدلين والناظرين وتفاوت آرائهم وعقولهم
 وهذا يكثر حدّاً وفيه صنفت الكتب ودوّنت الدواوين من
 على الحكمة والملة مذ قامت الدنيا على ساقها ولا يزال
 كذلك الى انقضاء الدهور وتخرم الأيام وكثير من الناس
 أبوا أن يسموا علم البديهة والحس علماً على الحقيقة لاشتراك
 الناس كلّهم فيه واستواء درجاتهم في ذلك ثم هو غير مستفاد
 ولا مكتسب بل أوجه الطبع العزيزة وقوة التمييز والخالقة ،

القول في العقل والمعقول ، أقول أن العقل قوة إلهية مميّزة بين
 الحق والباطل والحسن والقبيح وأم العلوم وباعث الخطرات
 الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنما سمى عقلاً لأنه عقال
 للز عن التخطي إلى ما خطر عليه وقد أكرت الفلاسفة
 الاختلاف في ذكره وروصفه قال ارسطاطاليس في كتاب

البرهان أن البتلي هو القوة التي بها يقدر الإنسان على الفكرة والتمييز وبها تتكون المقدمات من الأشياء الجزئية يولف منها القياسات وقال في كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل في الإنسان بطريق الاعتياد من أنواع الفضائل حتى يصير له ذلك خلقاً وملكة متمكنة في الناس وقال في كتاب النفس بخلاف هذا وقسمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهولاني والعقل الفعّال والعقل المستفاد وفسره لاسكندر^١ فقال إن العقل الهولاني هو ما يوجد في شخص الإنسان من امكان التهيؤ لتأثير العقل الفعّال وإن العقل المستفاد [٢٠٦٣] هو المصور والعقل الهولاني بمنزلة العنصر وإن العقل الفعّال هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أن العقل هو النفس وبعضهم يقول هو البارئ جلّ جلاله مع تخالط كثير منهم في هذا الباب ومما توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود والأدب مستفاد وإثما سماه بعضهم باسم افعاله فلا يضايقه بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألا ترى انه يقال يكتب المصنفين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتائج

^١ الاسكندر. Ms.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجال نظامه من علمه فكيف
على التمثيل والاستمارة ولا يختلف قول القدماء في ان النفس
الهيولاني اصفى جوهر النفس رحمة فوق حس النفس ورتبة
على رتب الجواهر ودون رتبة الباري جلّ جلاله وهو اقرب
الاشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلا ما هو مركب
في الإنسان خاصّة دون سائر الحيوان في العالم السفلي فاما ما
يحكى عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يرده العقل او كتاب
الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجة الطبع فيما يوجهه ويسلبه أولى
من حجة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق الى ما وافقه
ويلائمه وانباضه عما يعافه وينافره وإن الله عز وجل خلقه
اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيئاً عبثاً او لغير حكمة
وفائدة والعقل مستحسن وهو يستحسن الشيء ثم يستقبّحه
ويستصوبه ثم يستخطئه والطبع لا يستحلي مرّاً ولا يستمرّ حاولًا
ولا يعبد الشيء عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع
لا تعرف إلا ما يحسّ وتُبَاشِر وقد تغيّرها العادات والعوارض
عن أصل جبلتها فتميل في بعض الأوقات الى ما كانت تنفر
عنه وينفر عما كانت تميل إليه وليس من قوتها التمييز بين

الحسن والقبيح بالاستدلال كما في قوة العقل وقد ضحت
طباع البهائم وسلمت أخلاطها ثم لم يحسن خطابها وامتناع الطبع
عن استحسان الحسن واستقباح القبيح غير محلي له من
الحكمة ولا موجب العبث في خلقه كما أن الموات لا تحس
بشيء من الأعراض ثم لم يخل من الحكمة بل دلالة وما
تحويله من المنافع والمضار الذي خص به جنسه فائدته
وحكمته فدلنا ان موجب العقل هو المولى عليه في الاعتبار
والاستدلال لإسقاط التكليف ووضع الامتحان على البهائم التي
سلمت طباعها وأخلاطها فان قيل بم عرفتم العقل قيل بنفس
العقل لأنه الأصل والبدية وأتم علوم الاستدلال كما عرفنا
الحس نفس الحس لأنه الطبع ولو كنّا عرفنا العقل بعقل
لأفضى الأمر إلى ما لا نهاية له ولما كان العقل أصل
العلوم ورأسه فان قيل فم يفرقون بين دلالة العقل ودلالة
الهوى والمادة قيل بالرد إلى الأصل لأن الفرع يشاكل
الأصل ولو لم يشاكله لم يكن فرعاً له ومن الدليل على
وجوب حجة الطبع تعظيم الناس كلهم العقل وتبجيلهم إياه
وتفضيلهم مراتب المقالات ورفعهم أقدارهم واستنابهم إلى

أراهم واعتمادهم على اشارتهم وتمتيعهم درجاتهم والاستخفاف بمن
 ذلّ عقله وبدا سخفه ولم يفعلوا [٢٦٧] ذلك بمن استقامت
 طباعه وكملت أخلاطه فعلمنا انه معنى غير معنى الطبع وهو
 العقل*

القول في الحسّ والمحسوس. أقول أن الحواسّ طرق وآلات
 مهيأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه فإذا باشرت
 الحاسة المحسوس أثرت فيه بقدر قبوله وقبلت منه بقدر تأثيره
 فبدرت به النفس وأدته الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته
 أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة ويبحث عنه العقل
 وميزه فما حقيقته صار يقيناً وما نفاه صار باطلاً والحواسّ الخمس
 أولاً يوجد شيء لا يمكن وجوده بشيء من الحواسّ فيحتاج الى
 حاسة سادسة ويزعم قوم أنّها أربع ويجعلون الذوق ضرباً من
 اللمس وبعض يقول ستّ ويعتدون فعل القلب حاسة سادسة
 وهذا سهل واسع بعد أن اقرؤا بصحة وجود فعل الحواسّ لأن
 من الناس من ينكر حقيقة فعلها تتغير أحوالها ويحتاج برؤية من
 يرى وجهه في السيف طويلاً وقامته في الماء الذي لا يكون
 مساحة عمقه كمساحة قامته منكسة ويرى الصغير كبيراً والكبير

صغيراً والواقف سائراً وهذا من رأى المعاندين والموهين إذ
لا توجد هذه التغيرات في غير حاسة البصر وذلك للعلل العارضة
من بُعد المسافة وتكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفية
والكمية لأن الحاسة لا تضبط الهأة إذا بُدّت فأمّا الإثنية
فلا يقع فيها غلط ما لم يفرط بُعدها فلا تحصر شخصها الحاسة
وأم سائر الحواسّ التي فطها بالمضامة والمباشرة فلا يقع فيها
اختلاف ما صحت وسلمت وأهون ما يقابل به صاحب
الرأى، انكار الحواسّ نفسها عروضاً لانكار فعل الحواسّ وما
اعلم انا عقلاً^١ يشتغل برّد هذا الرأى وإنكاره ولظهور فساده
وفُحش خطابه*

القول في درجات العلوم^٢ أقول إنّ الأشياء كلّها في القول على
ثلاثة أضرب واجب وسالب وممكن فالواجب في العقل
بنفس العقل واستدلّاه كيّمنا بأنّ البناء يقتضى بائياً والكتابة
يقتضى كاتباً ولا بدّ لكلّ صنعة من صانع وإن الواحد والواحد
اثنان وإن الشيخ كان شاباً والصغير كان رضيعاً وما أشبه ذلك
والسالب المتعنع السخيل في العقل بنفس العقل واستدلّاه

١ . ناعقل . Ms.

٢ . المعلومات . Ms.

وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإن
هذا لا يوجب العقل ولا يتصوره الوهم ولا يستقر عليه الطبع
والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن
القرون السالفة والبلدان النائية وما يذكر أنه سيكون بعد
فإن ذلك مما يجوز في العقل أنه كذلك ويجوز أنه ليس
كذلك لأنه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلا
ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز
والامكان فلما تكافأت الأدلة به قصر على حدّ الوقوف
فلا شيء إلا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو

محسوس*

في الحدّ والدليل [٣٧٣] والمعارضة والقياس والاجتهاد والنظر
وغير ذلك، أقول إن الحدّ ما دلّ على عين الشيء وغرضه
بإحاطة وإيجاز كحدود الدار والأرضين التي تميز حصّة كل
مالك من حصّة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة في
الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك
الإنسان حيّ ميت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شيء أو نقص
انتقض لأن الاعتبار صحّة الحدود في الأطراد بالمعكس

والقلب فتى لم ينفكس لم يستقيم هذا الذى اختاره فى الحدوده
وإن كان للناس فيه أقوال ومذاهب لأن من رأى بعضهم أن
حدّ الشئ وصفه له فى ذاته كالملة وعند بعضهم حدّ الشئ
من ذاته واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبين كما قلنا
وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صح] الطرد وهذا لا
يستقيم إلا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عليها
الموجبة كقول من زعم مثلاً أن حدّ الصلاة أنّها طاعة ثم يقول
وليس كلّ طاعة صلاة فالأولى فى هذا أن نسميه صفة لا
حدّاً لأنه لو كان حدّاً لسلم فى الطرفين كما قال أن حدّ
الإنسان أن يكون حياً ميتاً ناطقاً فكلّ حى ميت ناطق
إنسان وكلّ إنسان حى ميت ناطق وقد قيل الحدّ جامع لما
يفرقه التفصيل وأقول ان الدليل ما دلّ على المطلوب ونبه
على المقصود كأننا ما كان من جميع المعانى التى تتوصل بها
الى المدلول عليه وقد يدلّ الدليل على فساد الشئ كما يدل على
صحته فاذا دل على صحة شئ فهو دليل على فساد شئ والدليل
على فساد الشئ فهو دليل على صحة ضده ويدلّ الدلائل
الكثيرة المختلفة على العين الواحدة كالأطرق المؤدية الى مكان

واحد وكل ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه
وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أمته والكتاب
دليل والخبر دليل والاثار دليل والحركة والصواب دليل وما
أشبه ذلك هذا الذى اختاره فى الدليل الذى يستدل أهل
النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدل نفسه
فناقضه مخالفه بأنه لو كان كذلك لجاز للمدعى إذا طُوب
بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن
تأمل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة
كالشرب والسمير وان يكون عين الدلالة والمدلول عليه
كالصريح والقتيل يقول المدعى أنا الدليل إذا اراد فاعل
الدلالة غير خطأ وانما يستحيل اذا أراد به عين الدلالة
على ما يطالب به وقد يكون عينه دليلاً على الصانع اذا سُئل
لأنه ما من مدلول عليه إلا وهو دليل على شئ آخر وإن لم
يكن دليلاً على نفسه وأقول ان العلة السبب الموجب وهى
ضربان عقلية وشرعية فالمقلية الموجبة بذاتها غير سابقة
لملواتها كحركة المتحرك وسكون الساكن فالشرعية التى
تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدّماتها معلولاً بعلة قبلها

وشرط صحة العلة جريانها في معلولها فتى ما تقاعست عن
الاطراد تهافت ذلك كوجود عين او حكم لعلّة من الملل ثم
وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلة او زوال
العين [٢٨٨] والحكم مع بقاء العلة وصحة العلة كصحة
الحدّ سواء مع أنّ كثيراً من الناس يسنون العلة الحدّ
وليس يبيعد لاتفاق المعنى وقيل ان العلة ذات وصف
واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصحّ الحكم
بها إلا باجتماع أوصافها كقولنا في الإنسان أنّه حيّ ميت
ناطق لو اخترت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون
حدّاً للإنسان وعلة له وأقول ان المعارضة تصحيح ما رام
خصمك افساده من مذهبك بمثل مذهبه ومعنى المعارضة
والمقابلة على السواء والمائلة فإذا وقعت على خلاف ما
يذهب الخصم اليه فهي ساقطة فاسدة وقد أنكر قوم هذا
الباب وابطلوه وزعموا أنّه خارج عن حدّ الجواب والسؤال
فأجابهم مخالفوهم بأنّه ضربٌ من السؤال او زيادة فيه
واستدلّوا بأنّ المعارض مجيب او مرثى مناقضه ولوجاز ان
تمسك المعارض له عن جواب ما عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب^١ ما سُئِلَ إذا السائل مستجير والمعارض مجير
ثم نزل المعارضة من صحتها أربع منازل يصح منها ثلاث^٢ ويبطل
واحدة وهي معارضة السؤال بالسؤال كسائل رجلاً ما قولك
في كذا فيَكُرُّ عليه وما قولك انت في كذا فهذا لأنه
ليس فيه شيء من جواب ما سُئِلَ والثانية معارضة الدعوى
بالدعوى كقائل ان العالم قديم فيقول له الخصم ما الفرق
بينك وبين من يدعى انه مُحدث فيلزم مدعى القدم اقامة
البرهان والتفريق بين المدعوي ومتى بطل قول من ادعى
انه مُحدث صحت له دعواه في القدم لأن في صحة الشيء
فساد غيره والثالثة معارضة العلة بالعلة كقول الموحّد
للجسم إذا قلت أن الباري جسم لانك لا تقبل فاعلاً إلا
جسماً فليَمَ لم تقبل مركب مؤلف لانك لم تَرِ إلا جسماً
مركباً مؤلفاً والرابعة معارضة الدليل بالدليل فهو أن يقال
إذا كان دليلك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم
ان الدليل شيء آخر غير ذلك فالجواب أنك لا تقابل علة
بعلة ومطالبتك بالفرق مطالبة بتصحيح الدليل واقول ان

^١ Ms. répété deux fois.

^٢ Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشئ الى نظيره بالعلّة المشاركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما علم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسّة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق

[وافر]

ونحن الى ذفوف مغرّاتٍ نقيس على الحما نطقاً يقينا

وهذه الأقوال قريبة المانى كأنها فى مشكاة واحدة وقد أجاز بعض القاسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذى يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو أكثرها وتسمّى القياس البرهانيّ لدخوله فى حيز علوم الإمكان وقد انكر بعض الناس القياس فلزمه ان ينكر ما فات حواسّه وبدانّه ويُقرّ بصحّة كلّ ما جاء من حقّ وباطل وقضيّة العقول توجب ان تكون كلّ مشتبهين واحداً من حيث اشتبها وإلا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارّة ونار باردة لاشتراك النيران فى طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لهما فى القضية وأقول ان الاجتهاد هو ايمان الفكرة والاستقصاء [٢٨٧] فى البحث عن وجه الحق

الذى لا يصاب بالبديهة ولا بالحس لاسكن بالطلب والاستدلال وهو مقدمة القياس وكان القياس القضاء بالشئ على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من اصح وجوهه والتحرز من وقوع الغلط فيه لأن القياس من غير اجتهاد كالقول بالظن من غير استدلال وأقول ان النظر فعل الناظر بقلبه ليرى ما خفى عليه فكما أن العين قد تقع على الشئ ولا يتبينه إلا بعد النظر والتفكر فكذلك القلب قد تعرض له الخطرة فلا يشبها إلا بعد النظر والتفكر والمناظرة المفاعلة منه وقد تكون من تشبيه النظير بالنظير فيكون معناه القياس المحض ،

القول في الفرق بين الدليل والعلّة ، أقول ان الدليل ما هدى الى الشئ وأشار إليه والعلّة ما اوجبه واولجده ويوصل إلى الشئ بدليله لا بعلته لأن علته ايضاً مما يوصل إليها وتعلم بدليل لأن الذى يدل على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول عنه ومتى زالت العلّة زالت العين وتختلف الأدلة على العين الواحدة ولا تختلف العلّة ومحال وجود ما يفوت الحواس والبدان غير دليل وغير محال وجود ما لا علّة له ،

القول في الدليل ، أقول إن من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجه أو وجوه كثيرة كرويتنا بمض الجسم والبض يدل على الكل متصلاً كان او منفصلاً ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدل على المصوت ولا يشبهه والفعل يدل على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدل على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أن الدليل لا بُدَّ أن يوافق المدلول عليه بجهة من جهاته وإن خالفه في أكثرها فأمّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلق وإذا سقط تعلق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلاً إلا ان لا شئ في الغائب إلا جسم أو عرض لأنّه لا يرى في الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما في العالم الأعلى لأنّ ما في العالم الأسفل يخالف له فلا يكون دليلاً عليه فإن زعم ناعم أنّه كذلك لا شئ في جسم أو عرض او حدث غير أنّه يخالف لما في الشاهد طوب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأن لا شئ في الغائب إلا وهو حادث ولا في الشاهد إلا غير حادث *

القول في الحدود، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌ يُطلق على الجوهر
والعرض وما يدرك بالبدية والحاسة والاستدلال من جميع
ما مضى واتقضى وما هو ثابت في الحال وما سيكون فيما
بعد وحدة الشئ ما يصح أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو
يخبر عنه فاذا كان هذا حدّ الشئ فقد ثبت أن المدوم شئ
لأنه يصحّ الخبر عنه وأنكر قومٌ أن يكون المدوم شيئاً
وجعلوا حدّ الشئ أن يكون شيئاً موجوداً لأنّ الموجود والمثبت
يعتبران الأشياء كما يعمّ الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان
حدّ الشئ المعلوم لوجد له [٢٩٣] نقيض وهو المجهول وزعم
بعضهم أن حدّ الشئ المُثبت لا غير ولا شئ منفي والمدوم
غير مُثبت واحتجّ بعضهم بكتاب الله عزّ وجلّ أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً فنفي ان
يكون الانسان قبل ان يخلق شيئاً وبقوله تعالى هَلْ أَتَى
عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ أَلَدِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً^١
والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شيئاً غير المُثبت الموجود

^١ Qor., s. XIX, v. 68. Ms. *خ* (sic). اولم

^٢ Qor., ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مَذْ قَامَت
الدنيا باطلاً هذراً فإن قيل أن ذلك قد خرج مرة الى الوجود
قيل وما يدريك ان ما هو كائن بعد غير خارج الى الوجود
وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شئ قيل فما خرج عن الوجود
فلا شئ فإن قيل محال تقدم الاسم على السَمَى قيل ذلك
في الحواص فاما العالم فغير ممتنع لأننا نقول سيكون في
الدنيا أمور واسباب وحيوان فتقدم اسماءها قبل وجود شخصها
وقد كان ابو الهذيل يفايظهم بقوله في الممدوم انه جسم
خَيَّاطٍ على رأسه قلنسوة يزرقص ونقيض الموجود الممدوم
ونقيض المثبت المنفى وليس نقيض الشئ لا شئ لأن
المنفى والممدوم شيان قد نفى وعدم ولا شئ لا يوصف
بالعدم والنفى فإن قيل فجسم هو أم عرض أم حركة أم
سكون قيل هو شئ معلوم مقدور عليه لا غير وحدّ الجسم أن
يكون طويلاً عريضاً عميقاً مؤلفاً مركباً من اجزاء واباض شاغلاً
للمكان حاملاً للاعراض ولا يوجد بته خالياً منها او من
بعضها فان انكر منكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات
جسماً سلم له وسُوهل في التسمية بما شاء وطُوب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد هذه الصفات وكان هشام بن الحكم
 يزعم في حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول
 البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم في اللغة ما غلظ
 وكشف وكذلك يقولون للجنة العظيمة جسيمة وإنّما أطلق
 هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غيّر اسمه لم
 يتغيّر معناه وإنّما يتبيّن الفرق عند تفصيل الأسماء
 والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يتوجد إلّا
 في جسم فإن أنكره منكرٌ قوبل بما يقابل به منكر
 الجسم وطولب بالفرق بينه وبين غيره ثم كَلَمَ على ما أشار
 اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض في العالم وأن
 الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرقة وحدّ الجوهر حدّ بعينه
 لانه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والعرض والجزء
 لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر في الظنّ الذي هو أضنف أجزاء
 العلوم ودخل في خبر الامتناع وقد يستى الجوهر الطينة
 والمادّة والهيولى والجزء والعنصر والاسطقس واختلف الناس
 في الجزء الذي لا يتجزّأ من الأجسام فقال كثيرٌ من
 الناس انه لا يزال مجزّأ حتّى يصير في الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزأ ولا يكون له ثلث ولا رُبْع ولا نصف
قالوا ولولا ذلك لَمَا كَانَ لِلْأَجْسَامِ تَنَاقُصٌ وَلَمَا كَانَ شَيْءٌ
أَكْبَرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا أَصْغَرُ مِنْهُ وَلَمَا جَازَ لِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ
اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْفَعَ مِنَ الْجِسْمِ كُلِّ اجْتِمَاعَ خَلْقِهِ فِيهِ
فَأَقْلَ الْجَمْعِ بَيْنَ جُزْئَيْنِ قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ النَّظَامُ وَهْشَامُ بْنُ
الْحَكَمِ أَنَّهُ يَتَجَزَأُ تَجْزِئًا بِلَا نِهَايَةٍ وَلَمْ يَتَهَيَأْ بِالْفِعْلِ
فَأَنَّهُ مُوْهُومٌ وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهُ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ
شَيْئًا لَا شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْهُ فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ [٢٩٧] أَنْ
يَخْلُقَ شَيْئًا لَا شَيْءٌ أَصْغَرُ مِنْهُ وَقَالُوا لَوْ كَانَ قَوْلُ مَنْ قَالَ
أَنَّ الْجُزْءَ لَا يَتَجَزَأُ صَحِيحًا كَانَ فِي نَفْسِهِ لَا طَوْلَ لَهُ وَلَا
عَرْضَ فَإِذَا حَدَثَ لَهُ ثَانٍ حَدَثَ لَهَا طَوْلٌ فَلَنْ يَمْدُوا
الطَّوْلَ إِنْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ أَوْ لِهَمَا مَعًا فَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّهُ
لَهُمَا عَلِمَ أَنَّهُ يَتَجَزَأُ وَقَالَ الْحُسَيْنُ النَّجَّارُ الْجُزْءُ يَتَجَزَأُ حَتَّى يَمُودَ
إِلَى جُزْءٍ لَا يَقْبَلُهُ الْوَهْمُ فَيَبْطُلُ حِينَئِذٍ وَقَالَ قَوْمٌ لَا نَدْرِي
كَيْفَ الْقَوْلُ فِيهِ وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ الرُّؤْيَةِ عَلَيْهِ وَحُلُولِ
الْأَعْرَاضِ فِيهِ مِنَ اللَّوْنِ وَالْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَأَجَازَهُ

قومٌ ونفاه آخرون والقدماء مختلفون في هذا الفصل على خلاف قول أهل الاسلام فيزعم بعضهم أنه يُرى قبل الاسطقات الاربعة اسطقات آخر صاغر الأجزاء غير متجزئة في غاية الصغر منها تركيب الاسطقات التي منها تركيب العالم وأما ارسطاطاليس يقول أما التجزئة بالقوة فانها بلا نهاية وأما بالفعل فلها نهاية وقال بعضهم لا يتجزأ لا يقبل الانفعال مع اختلاف كثير بينهم ، وحد الزمان حركة الفلك ومدى ما بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افلاطون أنه يرى الزمان كوناً في الوهم وحكى ارسطاطاليس في كتاب السماع الطبيعى أن جميع القدماء كانوا يقولون بسرمدية الزمان ألا رجلاً واحداً يعنى افلاطون وروى عنه افلوطرخس* أنه قال جوهر الزمان هو حركة السماء هذا وفاق قول المسلمين وبعضهم يقول أن الزمان ليس بشئ مع اختلاف كثير بينهم وإنما ذكر ما ذكر من مذاهبهم لتطمئن نفس الناظر الى خلاف القائلين بالعقل والتمييز وليستفيد يقيناً بما

* Ms. .فانه .

* Ms. .افلوطرخس .

يبيّنه من وفاق قولهم لأن في الإجماع قوّة وهو من أوكد
أسباب الاستظهار^١ عليهم ، وحدّ المكان ما اعتمد عليه الجسم
أو أحاط به أو حلّه العرّض وهذا أرادّه ارسطاطاليس حيث
قال المكان نهاية المحتوى الذى يماس ما يحتوى عليه
واختلفوا فى الخلّاء والفضاء فقال قوم العالم لا خلّاء فيه
وإنّ الهواء جسمٌ منتشر بسيط ويتحن بالآلة التى هى على
هيئة^٢ الرطل فى أسفلها نقب فاذا شدّ أعلاها لم يخرج الماء
من أسفلها واذا فتح سأل فنقل أنّ الماء دفعه دافع وهو الهواء
الداخل فى الكوز وقال آخرون لا يخلو الأجسام من خلّاء
وهو الفرج بين الأجزاء واستدلّوا بالماء الذى يُصبّ على
الأرض فينوص فيها وفرق قوم بين الفضاء والخلّاء فقالوا
الخلّاء هو الفراغ من الجسم والفضاء هو المحتوى على الخلّاء
بلا نهاية ويزعم قوم أنّ الخلّاء والفضاء شىء واحد ويقول
آخرون انه ليس بشىء وحدّ المتغايرين ما جاز وجود أحدهما
مع عدم الآخر وقال بعضهم حدّهما ما اختلف أوصافهما وحدّ

^١ Ms. الاستظهار.

^٢ Ms. •

الضدين ما لا يجوز وجود أحدهما إلا مع عدم الآخر وحدّ الموجود ما ثبت علماً او حساً او وهماً وهو معنى الشئ وحدّ الاسم ما دلّ على المسمّى بالتمييز من جنسه والصفة كالاسم في بعض الأحوال إلا أنّ خاصيّة حدّها الاخبار عمّا في الشئ كالعلم في العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجعلون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الارادة ما يضطره الانسان [٣ 10 ٢] في قلبه من فعل او قول او حركة وحدّ القول ما يُبدّيه القائل بلسانه وقد يقال للاشارة قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما ابدى بلفظه فزعم ابن كلاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامع القائل ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال وانتقال وهى على ضروب فمنها الحركة الذاتية والمكانية وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشئ وحدّ الجنس ما يجمع أشياء مختلفة الصُور كالحَيوان والنبات وقد قيل الجنس ما استوعب الانواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والنوع تحت الجنس وهذا المقدار من هذا الباب لإغنة
بأحد عن مطالعته فإنه كالمادة للنظر والآلة للجدل ،

القول في الأضداد ، أقول ان قول من يزعم ان الشئ
لا يُعرف إلا بضده محال لأن معرفة الشئ بمحدوده ودلائله
بل شكله ونظيره أسكن^١ من معرفته بضده ونديده لأن
الشئ يدل على جنسه ونوعه ما لا يدل على ضده ولكن
الضدين لا يجتمعان وعند صحة الشئ فساد ضده ولا يقع
التضاد إلا بين الموجودات فبطل قول القائل أن ضده الجسم
لا جسم وضده العرض لا عرض وضده الزمان لا زمان وضده
المكان لا مكان وضده الشئ لا شئ لأن الأضداد أشياء متنافية
وقول القائل لا جسم ولا عرض لا شئ في الحقيقة فكيف
يُضاد الشئ بلا شئ ولكن الأجسام والأعراض أشياء مضافة
كالأسود ضد الأبيض والقديم ضد المحدث لأن القديم الموجود
لا إلى أول والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن^٢ ،

القول في حدث الأعراض ، أقول أن معرفة حدث الأعراض

١ Ms. اسكن .

٢ Ms. لم يكن .

من أوائل العلوم القائمة في النفس البديهة وما المنكر لها إلا
 بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لما ينتننا تعاقب الألوان المتضادة
 على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد
 وكذلك الروائح المتضادة كالكرهية والطيبة وسائر الحالات
 التي لا يخلو الجواهر منها كالحر والبرد والرطوبة واليبوسة
 واللين والحشونة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق
 والافتراق والطموم الملاذ والمكاره وما نجد من أنفسنا من
 الحب والبغض والإرادة والكراهية والشوق والملازمة والجن
 والشجاعة والقوة والضعف والشبية والشيب والنوم واليقظة
 والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والعمود والقرب والبعد
 والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض
 التي تطرأ على الأجسام وبمد أن لم يكن وتزول^١ بمد أن
 كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه
 لو تكلفه متكلف لأنه الدليل على الحدث والكون وقليل
 الشئ يدل على كثيره فإن زعم زاعم أن هذه الأعراض

^١ Ms. التضاده.

^٢ Ms. نزول.

أجسام طوب بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدَّ من التفصيل بينهما ثم من الدليل على أن العرض غير الجسم جواز الاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالبسرة الخضراء مثلاً تراها تصفر [٣٠ ١٠ ٣٠] فتبطل خضرتها ثم تحمر بعد صُفرتها وعيناها قائمة وكالراضى ينضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف والشاب يشيب والحي يموت فلما لم يحز ان يقال لمن قد شاب أنه ليس بذلك الشاب ولن مات انه ليس بذلك الحي مع ورود حال وارتفاع حال أخرى عقل أن العرض ليس بجسم ولا بمض الجسم لأنه لو كان كذلك لتغير الجسم كما تغير الأعراض الحادثة فإذا ثبت أن الأعراض غير الأجسام وجب إن نظر أحادثة هي أم قديمة فلما رأيناها كائنة بعد أن لم تكن وزائلة بعد أن كانت دلنا ذلك على حدوثها وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة بعد أن كانت متفرقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يَجْزُ وجودها متفرقة ما دامت انفسها قائمة فعلما أنها مجتمعة باجتماع ثم نظرنا أذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلنا أنه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهاية فلما
 بطل ما قلنا علمنا أنه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
 القول في الحركة والسكون فإن قيل أن الأعراض كانت
 كامنة في الجسم ثم ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
 مع استحالة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
 كامنة في الجسم فيكون الجسم في حال واحدة ووقت واحد
 ساكنًا متحركًا ومجتمعًا منفردًا فإن التجأوا الى مذهب
 من يقول بالهوى وأنه كان جوهرًا قديمًا لم يزل خاليًا من
 الأعراض ثم حدثت فيه الأعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
 قيل لا يخلو حدوث الأعراض فيه من أن يكون كانت كامنة
 فظهرت او كانت في جوهر آخر فانتقلت او لم تكن بتة
 فأحدثت فلما استحال كون الأعراض في الجوهر الذي
 يزعمونه خاليًا من الأعراض ان يكون مثل أجسام العالم او
 دونها أو أعظم منها او يكون جزءًا لا يتجزأ أو كيف ما كان
 فإن الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
 الحوادث فحادثٌ، واعلم أن أحكام هذا الفصل من الفرض
 الواجب والحق اللازم وخاصة معرفة حدث الأعراض وان

الجواهر لا ينفك منها لأنها الدليل الظاهر على الحدث والحادث
والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يعصنا برحمته
ويزيدنا بصيرة في طاعته.

القول على أهل النور ومبطل النظر، أقول أن طائفة من
المجاهدين سبّاهم السوفسطائية معنى هذه اللفظة عندهم
المؤمنون المخرقون وقد سبّاهم ارسطاطاليس الملحدين
أبطلوا العلوم كلها رأساً وزعموا أن لا حقيقة لشيء من العلوم
والمعلومات فانكروا موجود الحواسر ومقول البدائه
ومستنبطات الاستدلال وزعموا أن الأشياء على الحيلولة
والحسبان وكما يراه النائم في المنام وقد أعرض كثير من
الناس عن مناظرتهم وعيت على من اشتغل بالرد عليهم لأن
ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائه التي يستغنى فيها عن
الدليل لأنها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدل على صحته
فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتى يقوده ذلك الى
ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرثى^١ العامة فساد
مذهبهم فقال الحسن اوجدكم [٢١١] ما تدعون أم النظر

^١ Sic, ms.

قادم الى ما تزعمون فان ادعوا الحس كذبهم العيان وإن
 ادعوا النظر قالوا لعلكم غالطون في نظر عقولكم ولعلّ نظر
 مخالفكم يدلّ على خلاف نظركم فان سلموا الأمر لزمهم أن
 لا يضاظروا مخالفًا ولا يخطّوا منخطًا ولا يحمّدوا مُحسّنًا ولا
 يذمّوا مُسيئًا وهذا خلف من القول ووهن في الرأى وإن
 ادعوا ترجيح نظرهم فقد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الذى
 بنوا عليه مذهبهم وقد احتبس هذا الرأى صنفان من هذه
 الأئمة مقلّد مبطل النظر ومدعى أن لا دليل على النافى
 فلزمها من ذلك ما لزم أصحاب النود وقيل لهم أبناظر
 وحجّة أفدتم نظر المقول وحججها أم بغير حجّة فإن قالوا
 بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يشتونه وإن زعموا بغير نظر
 فالسؤال والجواب من النظر ولا يلتقى به من ليس من اهل
 النظر وكلّ كلام من غير نظر فجهود أو عنود أو سهو أو غلط
 أو عتّى وبمثلّه يقابل الزاعم أن لا دليل على النافى ثمّ
 نفيت الدليل مع أنّك مع نفيك ما نفيت أحد المدعين اذ انت
 لو عارضك خصمك بمثل قولك وابطل دعواك ثمّ اذا طالّبته
 بتصحيح مذهبه أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعويّين

أو استقاطها ولنظار أهل الإسلام وفقهائهم حجاج كثيرة في هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتاب ومما يستدل به على وجوب النظر أنه لما لم تكن الأشياء كلها موجودة حقًا ولا كلها باطلة حقًا ولكن حقًا وباطلًا ثم وجد الاختلاف فيها شائعًا على النظر إما من عالم مُعاندٍ أو جاهلٍ عاجزٍ ولم يكن الأخذ به على اختلافه وجب عليه بالنظر الذي يميز بين الحق والباطل وأيضًا لما لم تكن الأشياء كلها ظاهرة لأنها لو ظهرت لما جهل شيء ولا كانت خفية لأنها لو خفيت كلها لما علم شيء وكان منها ظاهرٌ جليٌّ وباطنٌ خفيٌّ وجب طلب علم ما خفى منها ولا يوجد ذلك إلا بالنظر،

القول في مراتب النظر وحدوده، أقول أن العلماء الذين وطأوا للنُّظار سبيل النظر ومهدوا لهم سبيل الجدل أضربوا في ذلك حدًّا من تعداه أو قصر دونه تبين تنكبه^١ وتعسفُه وخلل مذهبه وفساد بينته فعملوا السؤال أربعة أقسام لا يقع فيها صدق ولا كذب لأنها استخبار عن مائة^٢ المذهب

^١ بن شكبه Ms.

^٢ مائة Ms.

أولاً ثم عن الدليل ثم عن العلة ثم عن تصحيح العلة وذلك نهاية فصول النظر واستقرار صحة الدعوى وفسادها وقابلوا أقسام السؤال بمددها من الجواب وكلها أخبار تحتمل الصدق والكذب لأن الصدق الإخبار عن الشيء بما فيه والكذب الإخبار عنه بما ليس فيه والسؤال ليس بإخبار فيحتمل الصدق والكذب وإنما يوجب السؤال أحد الشيئين إما الجهل به وإما امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول والتسليم والرد والإنكار بمعارضة أو مطالبة بالدليل والدليل يوجب العلة والعلة تحقق الجواب إذا طردت صحت وحيثما انتهى الخصم وسأم انتهى الكلام،

[١١ ٧٥] القول في علامات الانقطاع، أقول المناقضة والانتقال والمجزع عن بلوغ الغاية وجحد الضرورة ودفع المشاهدة والاستعانة بالغير والسكوت للعجز كلها من دلائل الانقطاع وكل سائل مخير في سؤاله متفقاً كان [أو] متعنناً أحق في سؤاله أو أحوال وليست كذلك حال المحجب بل عليه القصد للحق وتعريف السائل وجه سؤال من إصابة وإحالة ولا عليه أن يجيبه عن مسألة هي فرع

لمسئلةٍ يخالفه فيها حتى يقرره بإيجابها وتأخذ ميثاقه
على القول بها لأن الخلاف اذا كان واقعا في الأصل لم يطرد
القياس في الفرع وذلك في التمثيل كسائلٍ عن الرسالة
منكر للتوحيد وإنما تصح النبوة بصحة التوحيد لأنه الموجبُ
لها وكل سؤال يرجع الى السائل بمثل ما يريد أن يلزمه المسئول
فغير لازم لأن المعارضة فيه قائمة فطلبُ الدليل على الدليل
والعلة على العلة إلى ما لا نهاية له فاسدٌ لأن محصول
الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المعقول وما لا نهاية له
غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يُستحسن لابن الهذيل
قوله إن صحة الصحيح وانتقاض المنقوض في جميع ما
اختلف فيه المختلفون يُعلم في ثلثه أوجه أحدهما إجراء^١
العلة في العلول والثاني نقض العلة بالتفسير والثالث
جحد الاضطراب فاما ترك إجراء^٢ العلة في العلول فكقول
الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولم قلت ذلك قال لأنني
أجريته كذا فرسخا فيقال له أكل فرسٍ جرى في اليوم
كذا فرسخا فهو جواد فإن قال نعم أجرى علقته وان

^١ اجزآ. Ms. les deux fois.

قال لا فقد نقضها وهو يحتاج الى علة أخرى وأما نقض
الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا أشدَّ حرَّ الصيفِ
أشدَّ^١ برد المشتوة التي تليها وإذا أشدَّ برد الشتوة أشدَّ حرَّ
الصيفِ التي تليها ثم يقول وقد يشتدَّ حرَّ الصيف ولا
يشتدَّ برد الشتاء الذي يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير
الجملة التي تقدّمت لأنها لو صحت لم يشتدَّ حرَّ الصيف إلا
باشتداد برد الشتاء أبدًا وأما جحد الاضطراب ففي البداهة
والحواس وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسي
في هيئته وخضابه أيزعمون أنه لم يزل هكذا قاعدًا
في مكانه بحاله التي هو عليها من الكسوة والخضاب
فان قالوا نعم جحدوا الاضطراب بشهادة العقول بابطالهم،
واعلم أن الكوت بعد استقرار الحقّ أبلغ من الكلام في
الذبّ عنه وزيادة البيان هجنة وربّما أورث فرصة لأن
الإفراط نقص وعلم بفلج^٢ الحجة ودحوصها^٣ أبلغ من افصاحك

^١ واشتد Ms.

^٢ فليج Ms.

^٣ ودحوصها Ms.

بها لأنّ الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كلّ من لزمه قول مناظره او عجز عن جوابه في الوقت وجب عليه المصير الى مذهب خصمه ولكن بعد التبيين والتثبيت واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبة فإذا انكشف الغطاء عن وجهه وصرح المحض عن زبده وأومض الحقّ سيره فلا يسع حينئذٍ غير الاقرار والانقياد له وليس من الحقّ تكليف الحضم إظهار ما هو خفيّ في نفسه لأنّه غير ممكن كما يمكنه اخفاء ما هو ظاهر في نفسه ولأنّ ذلك [٢٠ ١٢ ٢٠] إزالة الشئ عن وجهه فهذه مقدمات قدّمتها نظراً للنظر في كتابنا ونصّها لمن احتاط لدينه وتحرّز من تمويه المحدثين وتلبيس المخترقين وخطرات الحجاب ووساوس الخلفاء الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخذت الكفاية قرائهم وحلت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات نفوسهم وملأهم الهزل وركبهم الجهل واسترقم الباطل وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر فاحتالوا في إسقاط التكليف عنهم ليرحوا في ميادين الشهوات وليركبوا ما يهونونه من اللذات بانكار علوم الأصول من البديهة

والحواس والله المستعان وهو خير معين، وبعد فإن لأهل
الإسلام أصولاً من الكتاب والسنة والاجماع والقياس
عليها ما يقوم لهم الحجة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها
وكذلك أهل كل ملة ودين وكتاب غير أن ذلك
لتصحيح فروع دينهم وشرائع ملتهم فلذلك أضربنا عن
ذكره صفحاً *

الفصل الثاني

في اثبات البارئ وتوحيد الصانع بالدلائل البرهانية
والحجج الإضرارية

أقول أن الدلائل التي تدلّ على اثبات الله عز وجلّ غير
محصورة ولا متناهية في أوهام الخلاق لأنّها بمدد أجزاء أعيان
الموجودات من الحيوان والنبات وغير ذلك ممّا خفى من
الآبصار أنّه ما من شيء وإن صغر جسمه ولطف شخصه إلا
وفيه عدّة دلائل تعبّر عن ربوبيّته وتصرّح عن إلهيّته
تصريحاً ينتفى مع أدناها الشبهة ويُزاح اللمّة وإلى هذا المعنى
نظر بعض المحدثين وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه
واحد وإن يجوز غير ما قلنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق
وصانع الصنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم إلى الوجود لم
نخل من آثار خلقه واختراعه في الدلائل المقترنة بهما
الشاهدة على صانعها ومُنشئها فمن الدليل على اثبات البارئ سبحانه

وتعالى أنه خلافة بين الأوائل والأواخر إن الأرض منها
 عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير
 مسكون وإن عظم المسكون المعلوم منها العرب وفارس والروم
 والهند وهم ذوو الآداب والاخلاق من سائر أهل الأرض
 لهم السير والسُنن والآيين والحكمة والهمة والنظر والخصال
 المحمودة والعلوم الماثورة من الطب والتنجيم والحساب والخط
 والهندسة والفراسة والكهانة والأديان والكتب وغير
 ذلك مما يستعملونها في معاملاتهم وموضوعاتهم وما سواهم
 رِعَاعٌ وهمجٌ سافلوا الرتبة عن رب من قدّمنا ذكرهم
 ونافقوا الحظّ من حظوظهم إمّا بهيمى الطبع فى قلّة التمييز
 والفطنة وإمّا سَبِيّة فى الجفوة والغِلظة حتّى أنّ منهم مَنْ
 ينزو بعضهم على بعض ومنهم من يأكل بعضهم بعضاً لعل
 قد ذكرها القدماء ليس هذا موضع شرحا بقول الله سبحانه
 وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^١ ثمّ إنّ هذه الأمم^٢ المحمودة أخلاقهم مع
 اختلاف أصنافهم وافتراق ديارهم وتفاوت آرائهم فى المذاهب

^١ Ms. ذو.

^٢ Qor., ch. XVI, v. 8.

^٣ Ms. الأمة.

التي ابتجلوا والأديان [٢١٢ ٢] التي اعتقدوا لم يختلفوا في وجود آثار الصانع الحكيم في هذا العالم وما يشاهدونه في أجزائه وأبعاضه واختلاف طباعه وتعاقب أعراضه فإذا صح وجود البارئ الأزلي القديم الأول السابق ببدائه العقول وشهادة النفوس واضطرار الفطرة والجماء الخلقة بذلك بني تأسيسهم وعليه بني تركيبهم إلا من شد من جاهل أو جاحد مؤوف في نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم أثر من غير مؤثر ولا صنع من غير صانع ولا حركة من غير محرك كما يحدد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بانٍ وصورة بلا مصور فسبحان من لا انتهاء له إذ لا ابتداء له منه البداية وإليه النهاية مُبدع القوى وممدد المواد وسابق العلل ومنشئ البسائط ومركب العناصر وحافظ النظام ومدبر الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم العدل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب الفنى عن اجتلاب المنافع مدبر الأمور ومدبر الدهور أرخى على الأوهام ستور ربوبيته وضرب على مطالع العقول حجب إلهيته فليس يُعرَف إلا بما عرَف به الخلق نفسه ولا يُدرَك أحدٌ

من صفاته كنهه الأبصارُ عن بدائع صنعه خاسته والبصائرُ
عن ملاحظتها نابتةٌ والقلوبُ في آثار الدلائل عليه حائرة
والنفوسُ مع حيرة القلوب إليه والهمة والعقول عند تحافظة
الاشراف عليه مضحكة متلاشية معبود في كل زمان معرُوف
بكل لسان مذكور بكل اللغات موصوف بتضاد الصفات ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير نحمده على ما هدانا ولدينه
اجتباناً ونشهد ان لا اله إلا الله نتميز به عن المشركين
وننزّل عدد الجاحدين ونشهد ان محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبٍ كذاب ولا مريد دنيا ولا قائل
بالهوى فأبلغ وأدّى وانذر وأهدى وصدع بأمر الله
حتى أتاه اليقين فصلوات الله على روحه غادية وبردات^١
زحمته مترادفة على آله اجمعين ، هذا التحميد الذي وجب
أن نصدر به كتابنا أغرناه الى حيث قدرنا انه أولى به
وأليق ، ومن الدليل على اثبات الباري سبحانه ولّه النفوس
وفزعُ القلوب إذا حزبت الحوادث إليه اضطراراً إذ لا يوجد

مضطّر وقد عَضَّته نائبة ولدغته ناكبة يفرّج الى
 حجر أو شجر أو مدد أو شئ من الخلائق الا اليه ويدعوه بما
 هو معروف عنده من اسم او صفة هذا مشاهد عياناً كما تفرّج
 النفس عند المكاره المخوفة الى طلب المهرب والنجاة وكما
 يفرّج الطفل الى ثدى أمّه ضرورةً وخلقةً كذلك الله في
 معرفة خلقه إياه لأن أثر الدلالة في الخلق عليه أعظم
 من أثر الطبع الى مالا يلائمه وينافره ولا يمكن المحد المنكر
 وان غلا وتمق في الإلحاد الامتناع^١ في معرفة الله واجراء
 ذكره واسمه على لسانه شاء أم أبى في حال عمده ونسيانه
 لأن قلبه ولسانه على ذلك الخلق كما أن طبعه على الميل
 الى المحبوب والازورار عن المكروه حيل^[٣٥ 18 ٢٩] ومن الدليل
 على اثبات البارئ جلّ وعزّ أنّه لا يخلو لسان أمة من الأمم
 في أقطار الأرض وآفاقها إلا وهم يسمّونه بخواص من
 أسمائه عندهم ومستحيل وجود اسم لا مستى له كاستحالة
 وجود دليل على غير مدلول عليه بل المدلول موجب لدليل
 كذلك المستى موجب الاسم وما هو في التمثيل إلا بمنزلة

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلا في
 جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلا لسمي فمن ذلك
 قول العرب له الله مفردا من غير أن يشاركوه في هذا الاسم
 بأحد من معبوداتهم لأنه خاص لهم عندهم وكانوا يطلقون
 على غيره على التنكير وأما الرب بالتعريف والرحمن فلم
 يكونوا يميزونه إلا لله تعالى وإنما تسمى 'مسيلة الكذاب
 بالرحمن مضادة لله جلّ وعزّ ومعاودة لرسوله عليه السلم ذلك
 مشهور مستفيض في قوافي أوائلهم قبل قيام الإسلام فمن
 ذلك قول بعضهم في الجاهلية

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا يَسِينَهَا
 فأضاف فعل القطع الى الرحمن لأنه أراد به الدعاء
 وعلم أنه لا يجيب الدعاء إلا الله وقول أمية بن ابي
 الصلت

وَالْعَيْتُ الْحَنْقَةُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُجْرَهَا آتَنَاتُ اللَّهِ وَاللَّسَمُ
 إِذَا دَعَا بِاسْمِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِذْلِ يُرَى فِي سَفِينَهَا دَرَمُ

وَإِنَّمَا أَتَيْنَا بِهَذَا الْبَيْتِ حُجَّةً لِإثْبَاتِ اسْمِ الْإِلَهِةِ لَا لِرُقِيَةِ
الْحَيَّةِ وَقَوْلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو،

إِلَى اللَّهِ أَهْدَى مِذْحَقِي وَثَنًا يَا^١ وَقَوْلَا رَصِينًا لِابْنِي الدَّهْرِ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ مُدَانِيَا

وقول فارس هرمز وايزد وايزدان ويزعمون أنَّ عبادتهم النار
يقرب إلى البارئ عز وجلَّ لِأَنَّهَا أَقْوَى الْإِسْطِقْسَاتِ وَأَعْظَمُ
الْأَرْكَانِ كَمَا قَالَ مُشْرِكُوا الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانِ مَا
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ
هَذَا حَالَةً مَنْ يَعْبُدُ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ
مُعبوده من خشبٍ أو حجرٍ أو نحاسٍ أو ذهبٍ أو شيءٍ من
الجواهر غير خالقه ولا صانعه ولا مدبر أمره ولا محمله ولقد
دخلتُ بيتَ نارخوزَ وهي كورة من كود فارس قديمة
البناء وسألتهم عن ذكر البارئ في كتابهم فأخرجوا
إِلَى صُحُفًا زَعَمُوا أَنَّهَا الْإِسْطَاقُ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي جَاءَهُمْ
بِهِ زَرْدَشْتُ فَقَرَأُوا عَلَى بَنِيهِمْ وَفَرَّوْهُ عَلَى مَفْهُومِهِمُ الْفَارْسِيَّةِ

^١ ثنانيا Ms.

فيكمازهم بهسته هرمز وبشتاسندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو الباري بلسانهم وبشتاسندان الملائكة ومعنى
رستخيز فني فقم وقول الأعاجم بلسان الدرية خدای
وخداوند وخدايكان وقد سمعتُ غيرَ واحدٍ قال في تأويله
خذست وخوذبوذ مناه أَنه هو بذاته لم يكنه مكوّن
ولا يُحدثه مُحدثٌ وقول الهند والسند شيتاوابت ومهاديو
وأسماء كثيرة غير هذه يصفونه بخواص أفعاله [٢١٨ ٧] وقول
الزنج ملڪوى وجلوى قالوا مناه الربّ الاعظم وقول
الترك بير تنكرى يعنون الربّ واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لخصرة السماء فإن كان كما ذكروا فإنهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهية وأنما شكوا في الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السماء واسم الباري عندهم بالغ بآيات
معناه الغنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبشة وما يدانيها
من البلدان بالسريانية لأنّ عالمهم نصارى لاها ربا قدّوسا
ولا فرق بين السريانية والعربية إلّا في أحرف يسيرة فكأنّ
السريانية سلخت من العربية والعربية سلخت من السريانية
وقول اليهود بالعبرانية ايلوهم ادناى اها شراها

ومعنى ايلوهيم الله واول^١ التورينة برشيت بارا ايلوهيم
يقول اول شئ خلقه الله هذا الذى عليه معظم الأمم
والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فاما أقاطيع الناس في
مجاهيل الأقاليم فمن يحيط بلغاتهم إلا الذى خلقهم وقسم
بينهم السنتم وسمت قومًا من برجان يسمونه ادفوا فسألهم
عن اسم الصنم فقالوا فع وسألت القبط من صعيد مصر عن
اسم البارئ بلغتهم فزعموا احد شناق كذا ظنى والله أعلم ،
ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه هذا العالم بما فيه
من عجب النظم وبديع الترتيب ومحكم الصنع ولطيف التدبير
والاتساق والاتقان فلا يخلو من ثلاثة أوجه إما أنه لم يزل
كما هو وإما أنه لم يكن فكان بنفسه وإما أنه كونه مكوّن
هو غيره فلما استحال ان يكون قديمًا لم يزل لمقارنة الحوادث
إياها وإن لم يخل من حادث فحادث مثله واستحال ان يكون
الشئ نفسه لاستحالة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهم
المعدوم من أن يتركب فيصير عالمًا لم يسبق غير الوجه الثالث
وهو أن كونه مكوّن هو غيره غير معدوم ولا محدث وهو

^١ Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلاله واعلم ان البارئ عزّ وجلّ ليس بحسوس
 فيحصره الحواس ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيته وكميته وأنيته
 ولا مقيس بنظير له أو شبهه فيعلم بأكثر الظنّ والحزر ولا
 موهوم بصورة من الصّور لكنّه معروف بدلائل افعاله وآيات
 آثاره موجود في العقول لا غير ولا تُوجد آثاره وافعاله إلّا في
 خلقه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه تفاضل الخلق
 في الدرجات والطباع والمهم والإرادات والصّور والأخلاق
 وتمايز الأشخاص والأنواع من أجناس الحيوان والنبات فلو
 انها مكونة بالطباع لاستوت أحوالها وتكافأت أسبابها
 وكانت تكون في انفسها مختارة ولما يُوجد فيها ناقص ولا عاجز
 ولا مذموم ولا متأخر عن درجة صاحبه فلما وجدنا الامر
 بخلافه علمنا أنّ مدبراً دبره ومرتبّاً رتبّه وهو البارئ سبحانه ،
 وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان عدد الدلائل عليه
 تعالى وتقدّس غير محصاة ولا متقصّاة لأنك لو عمدت الى
 أصغر شخص من أشخاص الحيوان وأعملت فكرك في تعداد ما
 يوجدك من آثار صنّع الصانع فيه لرجعت حسيراً عيياً

وأمجزتك حُجَّجَ الباريُّ جلَّ وعزَّ وحيرتك آثارُ صنعه وذلك
 في المثل كناظر في بَعْوضَةٍ أو نَمْلَةٍ [٢٤: ١٤] أو ذُبابٍ كيف بنى
 ٥ الباريُّ جلَّ وعزَّ جسمه في لطفه وصغر أجزائه وكيف أطلق له
 القوائم والأجنحة وكيف ركب فيه من الأعضاء ما لو فُرِّقَتْ
 لما كان الطَّرف يدركها ولا الوهم يمسُّها ولا الحاسة تحدها وكيف
 ركب فيه من الطبائع ما تمَّ به قوام أركانه واستواء نظامه
 وكيف أودعه معرفة ما فيه صلاحه من طلب منافعها واجتناب
 مضارِّه وكيف سلك في جوفه مداخل غذائه ومنافذ طعامه
 مع خفَّة جسمه وقَلَّة ذاته وكيف حمل عليه الأعراض وصبغه
 بألوان الصَّيغ وكيف ركب الحركة والسكون والاجتماع
 والافتراق والصوت والصورة وكيف ركب فيه العين بل كيف
 ركب في عينه البصر هذا في صفات هوائٍ ما يتولَّد وإن كان
 طبع الزمان علَّةً لبثه وإثارتِه فإنه لم يتركب هذا
 التركيب العجيب والنضيد الأنيق إلَّا من تدبير قادر
 حكيم وكذلك لو نظر إلى أدون نبت من النبات وما حُمع
 فيه من اختلاف ألوانه من نوره وورقه وفرقه وجذعه
 وعرقه واختلاف طعوم أجزائه ورائحتها ومنافعها ومضارِّها

لدلّ ذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه
 فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته^١ واعتدال بيته مع ما
 خُصّ به من الحكمة والعلم والفتنة والبحث والفكرة
 بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن
 اهتدائه اليها وخبرته بالأمر الفاضلة واستيلانه على جميع
 الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من
 الكمال والتمام مبنى^٢ على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما في
 العالم وكبيره مضمّن بالنصب والتب عاجز عن دفع ما يحلّ به
 من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرفه في نشوه
 ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيه ويمينه لدله
 ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا
 العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب في الهيئة
 والشكل والصّور مع اتّصال بعضه في بعض وحاجة بعضه إلى
 بعض من اعتقاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتّفاق
 الأركان وتقاومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

^١ هيأته. Ms.

^٢ مبنى. Ms.

قادر حكيم ولو جاز لمتوهم ان يتوهم حدوث هذا العالم من
 غير محدث لجاز لغيره ان يتوهم وجود بناء من غير بانٍ وكتابة
 من غير كاتب ونقش من غير نقّاش وصورة من غير مصوّر
 ولساغ له إذا نظر الى قصر مشيد وبناء وثيق أن يظنّ أنّه
 انساب إلى كومة من التراب مجتمعة لم يجمعها جامعٌ فاختلط
 بها من غير خالط حتّى التفتّ ونديت ثم انسبكت لبنًا على
 أكل التقدير وآتق التربيع من غير سابق ولا ضارب ثم
 تأسس أساس القصر وتمكّنت قواعده وارتفعت ساقاته
 وأعراقه حتّى إذا تطاولت حيطانه وتكاملت أركانه
 وتطارت اللبن وتراكت على حواشيهما وتناضدت أحسن التراكم
 والتناضد ثم تساقلت الجذوع والجوائز من أشجارها على قدر
 البيوت والحطط والمحتطة للأبنية بلا حاصد لها ولا عاصد ثم
 انتجرت بلا ناجر [١٤ ٧٠] وانتشرت بلا ناشر واسفت بلا
 سافن فلما تهّأ منه الكمال واستقام المائل ترقّت بأنفسها
 فانفرزت فى مغارزها وتسقت فوق بيوتها وفاقت أساطينها
 تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فانغلقت
 بذاتها ثم تكلس القصر وتسيّع وتباط وتخصّص وتنقش بأنواع

التزاويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرقه
على أحسن التقدير وأكمل التدبير حتى لا ترمى منه ناحية ولا
لبنة ولا قصبة إلا ومفهوم للناظر إليه موضع الحكمة والحاجة
إليه من غير فاعل فعله ولا صانع صنعه ولا ساع سعى فيه
ولا مدبر دبره وكذلك^١ لو نظر الى سفينة مشحونة موقرة
بألوان الحملات وأصناف السلع راكدة في لجة البحر او
سائرة انها تركبت ألواحها وأعضاها وتسرت مساميرها
وذُئرها وانضمت حتى اسفنت بذاتها ثم نقلت الحموله إلى
نفسها حتى امتلأت ثم ركدت في الماء فسافت عند الحاجة
وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه
انحلج قطنه وخلص قزّه ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت
الوشائع^٢ وامتدت الاشراع والتفت الى منوالها وانضمت الخيوط
بعضها الى بعض فانتسج وانتسج فاذا لم يجز هذا التوهم
فكيف يتوهمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب
فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

١ Ms. وذلك.

٢ Ms. الوشائع.

ما يركبه الإنسان بأنّ العادة لم تجوّز بابتداء الدور وانتساج
 الأثواب وانصباغ الأواني ولم يوجد مثل ذلك في الامتحان
 والطبائع قيل فكيف جوّزتم ما هو أعجب ممّا ذكرنا واءظم
 من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإنّ زعم أنّ تركيب
 هذا العالم على هذا النظم ولتركيب^١ من فعل الطبائع فالطبائع
 إذا أحياء قادرة حكيمة عالمة ولم يبقَ بيننا وبينه من الخلاف
 الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة
 وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متقن من غير
 حكيم حيّ قادر فإنّ زعم بالحدّ والاتّفاق على هذا الاتّفاق
 غير موهوم وإنّما وقوعه في النواذر ولوجاز ذلك لجاز أن من
 له ساحة ولا بناء فيها ولا عمارة يتفق اتّفاق ليلة فتصبح
 مبنية دوراً مفروسة اشجاراً على احسن الابنية واعجب التركيب
 ولا محيص للملحد من حجج الله وآياته فكيف وهو حجة
 بنفسه ولغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا ألا ما يضاهاى
 الفصل وما يصحّ ويحمل دون ما ينمض ويدقّ لأنّ من عزّما
 أن نبالغ في الاستقصاء والإيضاح لهذه المسائل في كتاب

سمّياه بالديانة والامانة شكراً لمن أنعم علينا بالتوحيد ومناضلة
عن الدين وتبصراً للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم
أنّه لو جاز أن يُوجد شئ من الأجسام لا من خلق الله لجاز
أن يوجد عارياً من دلالة عليه. فإذا لم يوجد إلا من خلقه لم
يمخل من دلالة عليه فإن قيل وكيف يعلم أنّه مصنوع
مخلوق قيل بآثار الحدث فيه فإن قيل فما آثار الحدث قيل
الأعراض التي لا تعرى الجوهر منها من الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلك فإن
انكر الأعراض وحدوثها كلّم بما ذكرناه في موضعه [٢٥ ١٥] من
الفصل الأوّل فبحدوث الأعراض يصحّ حدوث الأجسام
وبحدوث الأجسام يصحّ وجود المحدث الباري لها سبحانه
ولقد قرأتُ في بعض كتب القدماء ان ملكاً من ملوكهم سأل
حكياً من الحكماء ما أدلُّ الأمور على الله فقال له الدلائل
كثيرة وأولها مسئلتك^١ عنه لأنّ السؤال لا يقع على لا شئ
قال الملك ثم ما ذا قال شكّ الشاكّين فيه فأنما
يُشكّ فيما هو لا فيما لا هو قال الملك ثم ما ذا قال وله

^١ Ms. مسألتك.

الظن^١ اليه الذي لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدني قال
حدوث الأشياء. وتنقلها على غير مشيئتها قال زدني قال الحياة
والموت اللذان يستيهما الفلاسفة النشوء واليلى فليست واجداً
احداً أحيا نفسه ولا حياً إلا كارهها للموت ولن ينل^٢ منهم
يعنى لا ينجو قال زدني قال الثواب والعقاب على الحسنة
والسيئة الجاريان على السنة الناس قال زدني قال أجد^٣
مزيدياً، وجاء في الأخبار ان بنى اسرائيل اختلفوا في هذا
الباب ففزعوا الى عالم فسألوه يَمَ عرفت البارئ قال بفسخ
العزم ونقض الهمة وكتب الله المنزلة مملوءة بدلائل
الاثبات والتوحيد تأكيداً للحجة لأنه موضوع في نفس
الفطرة وخاصة القرآن وقال الله لرسوله حيث سُئِلَ عن
الدلالة عليه إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في الجبر بما ينفع الناس وما
أرسل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر

^١ الفطر. Ms.

^٢ مل. Ms.

بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون^١ فدل على نفسه
 بخواص أفعاله ومعجزات آثاره التي لا سى لغيره في شيء
 منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين^٢ ثم
 جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين^٣ الى قوله فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَالِقِينَ^٤ هل ترى أحدًا يدعى فعل شيء من ذلك وقال
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَاَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
 شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْزِزْ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
 قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا أَلَمْ يَعْزِزْ اللَّهُ^٥ الى آخر الآي الخمس وقوله أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ^٦، دلهم على
 نفسه بضمه بإعجازهم في آخر الآيات فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
 مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٧ وتكاف غير ما

^١ *Qor.*, sour. II, v. 159.

^٢ *Qor.*, XXIII, v. 12-13.

^٣ *Ibid.*, v. 14.

^٤ *Qor.*, XXVII, v. 61 et suiv.

^٥ *Qor.*, sour. LVI, v. 58-59.

^٦ *Ibid.*, v. 85-86.

في كتاب الله فضل لأنه معرض ممكن لمن تدبره وتأمله
 وقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون^١ انكم توجدوها ولم
 تحدثوها ولستم تملكون شيئاً من أمرها من الصحة والسقم
 والشباب وقال سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وفي أنفسهم حتى
 يتبين لهم أنه الحق^٢ يعني بما ضمنها من آثار الصنع
 وشواهد التدبير ودلائل الحدث ورؤينا في حديث أن رجلاً
 سأل محمد بن عليّ أو ابنه جعفر بن محمد يا ابن رسول الله هل
 رأيت ربك حين عبده فقال ما كنت لا أعبد رباً لم
 أره فقال الرجل وكيف رأيته قال لم^٣ تره الميون بمشاهدة
 الميان ولكن رأيته القلوب بمحقائق الإيمان لا يدرك
 بالحواس ولا يقاس بالقياس^٤ معروف بالدلالات موصوف
 بالصفات له الخلق والأمر يُعزّ بالحق ويذلّ [١٥ ٧٥] بالعدل
 وهو على كلّ شيء قدير وسئل عليّ بن الحسين رضي الله عنها
 متى كان ربك قال ومتى لم يكن ربنا وحكي عن بعض

^١ Qor., LI, v. 21.

^٢ Qor., XLI, v. 53.

^٣ Ms. ألم.

^٤ Ms. بالناس.

الحكماء. أنه كان يقصر^١ الناس على هذا القدر من التوحيد ولم يرخص لهم الخوض في أكثر منه فيقول التوحيد أربعة أشياء معرفة الوجدانية والإقرار بالربوبية وإخلاص الالهية والاجتهاد في العبودية وكانت حكماء العرب في كفرها وجاهليتها يُشيرون اليه في أشعارهم ويمدحونه بالآل^٢ ونعانه فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

| | |
|---|--|
| وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ | بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا |
| فَقُلْتَ لَهُ فَأَذْهَبْ وَهَارُونَ قَادِعُو | إِلَى اللَّهِ فَرَعُونَ الَّذِي كَانَ طَائِفًا |
| وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَمَّيْتَ هَذِهِ | بِلَا عَمْدٍ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ كَمَا هِيَ |
| وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَمَّيْتَ هَذِهِ | بِلَا وَتَدٍ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ كَمَا هِيَ |
| وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً | فَتَصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ صَاحِيَا |
| وَقُولَا لَهُ مَنْ يَنْبِتُ الْحَيَّ وَالْثَرَى | فَتَصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَاسِيَا |

وكان يقول [متقارب]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ يَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا

دحاها فلما رآها أَسْتَوَتْ على الماء أَرَسى عليها الجبالا
وَأَسْلَمْتُ وجهي لَنِ اسْلَمْتُ له المُنْزُ تحمل عذابا زلالا
إذا هِي سُوقَتْ الى بِلَدَةٍ اطاعت فصَبَّت عليها سجالا

فجعل يصفه بالصفات الَّتِي يُعْجَزُ عنها المخلوقون معرفةً منه
باستحالة فعل لا من فاعل وأذْكَرُ أُنَى سَأَلْتُ بعضَ
الأعاجم بنواحي سنجار على نواحي المُنْزاح والمهاذلة إذ كنت
أراه جلف الجثّة ثَقِيلَ اللّهُجَةِ ما الدليل على أَنَّ لَكَ خالِقًا
قَبالِ عَجْزِي عن خلقِ نفسِي فكأنما أَلْقَمْتُ حَجْرًا وما شَبَّهْهُ
إِلَّا بِمُخْبِرِ عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفان رَضِيَ
الله عنه وهو في شِمْلَةٍ اشْمَثَ اغْبَرُ في زِيِّ الأعرابِ فقال
أَيْنَ رَبِّكَ يا اعرابي قال بالمرصاد فهال ذلك عثمان فارعد
له ومن ذلك قول صرمة بن انس بن قيس قبل
الإسلام [خفيف]

وله الراهبُ الحبِيسُ تراه دَهْنٌ يُؤَثِّسُ وكان ناعم بال
وله هُوْدَتِ يَهُودٌ وكانت كُلَّ دِينٍ وكلَّ أَمْرٍ مُضال
وله شَتَسَ النَّصارى وقاموا كُلَّ عِيدٍ لهم وكلَّ احتفال

وله الوحش في الجبال تراه في حفاف وفي ظلال الرمال

[٢١٦] يعني أن من مخافته هودت اليهود وحبت الرهبان
أنفسها في الصوامع ومن دلائله عرفت الوحوش منافعها
ومناكمها وليست بذات عقول مميزة وإنما يعرفه كل واحد
بمقدار فهمه وكيفية استدلاله وانشدني النهري بندي في
جامع البصرة [طويل]

وَكُوْ حَلَّ اقْطَارَ السَّمَاوَاتِ عَاقِلٌ أَوْ احْتَلَّ فِي أَقْصَى بِلَادٍ ثَبَاعِدُ
وَلَمْ يَرَ مَخْلُوقًا يَدُلُّ عَلَى هُدًى وَلَمْ يَأْتِهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ قَاصِدُ
وَلَمْ يَرَ إِلَّا نَفْسَهُ كَانَ خَلْقُهَا دَلِيلًا عَلَى بَارٍ لَهُ لَا يُعَانِدُ
دَلِيلًا عَلَى إِبْدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا مُنِيرًا عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ يُشَاهِدُ

وفي هذا المقدار مقنع وبلاغ لمن ناصح نفسه وأعطى النصفة
وجانب المحمود والعنود ومن لم يجعل الله له نوراً فما له
من نورٍ وإذا صحَّ اثبات الباري ووجود الصانع فلنقل الآن في
صفاته

القول في جواب من يقول من هو وما هو وكيف هو

أقول ان السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محالٌ من وجه
التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة الى هذه الاشياء تصوّرها في
الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه
من صفات الحدث فبما أن اراد السؤال عن إثباته وإثبات
صفاته فلا وذلك كقائل يزعم انه قد ثبت عندي وجود
البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب انه هو الاول
والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتّى يُعدّ جميع أسمائه
وصفاته فإن زعم انه سأل عن هويّة ذاته قيل غير
محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم
ان هذا من صفاته اللاشيّة والبطلان فهذا من وساوس الجهل
وهذان الخطل ويكلم في ايجاب الصنعة الصانع والفعل الفاعل
بما قد سبق ذكره فان طلب نظيراً أو شبيهاً بهذه الصفات
فهذا يكلفنا ان نتخذ إلهين^١ اثنين محسوساً وغير محسوس ثم
نشبه الغائب بالشاهد ليتحققه وما من إله إلا إله واحد
وليس يجب علم ما يتيقناه لجهل ما جهلنا ألا ترى أنا اذا
آتسنا شخصاً في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب ان

تُبطل علما في ذات الشخص بما خفى علينا من بعض هيئاته
 كذلك لما قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من
 فاعل ثم وجدنا فعلا لم نشاهد فاعله لم يجب ان تبطل علما
 البديهي بمجهلنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويته فنزل
الجواب في صفاته قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ فأخبر أنه أحد لا كأحد
 وصمد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس
 من الخلائق الروحانيين بقوله ولم يكن له كفوا أحد
 فنفي النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلام فيما رُوي
 لرجل من الأعراب سأله عنه هو الذي اذا مسك ضرر
 فدعوته أجابك واذا أصابتك سنة فدعوته امطر السحاب
 وانبت النبات [١٥ ١٨ ٣] واذا ضللت راحلتك بفلاة من
 الارض فدعوته ردها اليك فجعل يدلك على ربه بدلالة
 فعله وشهادة الكتاب تُغني^٢ عن طلب الأسانيد لمثل هذه
 الاخبار بقول الله تعالى آمن يجب المضطر اذا دعاه ويكشف

^١ Qur., sour. CXII.

^٢ Ms. يغني.

السورة وفي رواية المَقْبَرِيّ عن ابي هريرة رضى الله عنه
ان النبي صلعم [قال] انّ الشيطان يأتي أحدكم فلا يزال يقول له
مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حتّى يقول فمن خلق الله فاذا
سمعت ذلك فافزعوا الى سورة الإخلاص فقال ابو هريرة
رضى الله عنه فيينا انا قاعد إذ أتاني آتٍ فقال مَنْ خلق
السماء فقلت الله قال فمن خلق الأرض قلتُ الله قال فمن
خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله ففُتّتُ وقلت صدقَ
رسول الله صلعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً احد ولهذا نهى عن التفكير فيه إذ لا مَطْلَع
للوهم والفكر عليه من طلب ما لا سبيل اليه رجع باحد
الامرئين إمّا شاكّاً وإمّا جاحداً والجحود والشكّ فيه كُفْر
وقد قيل تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأنّ
الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أعلمُ أحدًا من أصناف
الخلق والأُمم إلّا وهو مُقرّ بوجود شئ في الغائب خلاف
الحاضر فمن ذلك قول الفلاسفة الهيولى وانه خلاف الاجرام
العلويّة والسُفليّة ومنهم من يقول بحسبى ناطق لا يجوز عليه

الموت وهو لم يشاهده حياً ناطقاً إلا ميتاً ومنهم من قال
بأن جواهر الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد
شيئاً من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ
طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها
ستة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب
علقة والعلقة تنقلب مُضغَةً ولم يشاهدها عياناً ومن قال
بأرض لا بتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من
الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسين
ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسمًا إلا مؤلفًا مركبًا في أشباه
لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل
لا شيء غير ما يباينه^١ ولا شيء غاب عنه إلا كما يشاهده محال
باطل وبعد فانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والفرح والحزن واللذة والكراهية والحُب والبُغض وغير
ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون
ولا عَرَضٍ ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثم لم يجب
ابطالها لعدم صفتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

^١ Ms. يباينه

والنوم لا شك أنها أشياء ثابتة ولها ذوات قائمة من الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فاذا كانت هذه الاشياء قُربها منا وتمكّنها فينا ونهجز عن الاحاطة بها ولم يجز انكارها لوجوهها وكيف يُبدعها ومُنشئها ومُقيمها على مراتبها وكلّ صانع لا شك أعلى رتبة من مصنوعاته وأرفع درجة فان قال قائل سَوِّتَ بين صفات العقل والروح والنفس وسائر ما ذُكرت وبين الباري الذي يدعونا اليه وتساوى الصفات يوجب تساوى الموصوفات فما ينكر ممّن يزعم انه هو النفس أو العقل لا من الناس من يقول هو نفس [٢٠ ١٧] الخلائق ومنهم من يقول هو عقولهم قيل انما يجب تساوى الموصوفات إذا تساوت حدود الصفات فأما الألفاظ فمشتركة والمعاني مختلفة ألا ترى أنا نقول له هو ولغيره هو ونقول هو واحد ولغيره مما يتميز من الأعداد واحد ونقول ذاته ولغيره من الحيوان والنبات ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأن الألفاظ سَمَاتٌ للمعاني لا يمكن العبارة إلا بها فاذا جئنا الى التفصيل قلنا فَعَلُ الإنسان بمجارحة وفَعَله ليس بمجارحة وفَعَلَ

الانسان بآلةٍ وفِعْله ليس بآلةٍ وفعل الانسان في زمان
ومكان وفعل الله قبل الزمان والمكان فهُلْ بقي بين
الفعلين من التشابه غير سمة اللفظ وهكذا سائر الأوصاف
ثم من الدلائل على أن الباري جلّ جلاله ليس بالنفس
ولا بالعقل ولا بالروح كما ذهب اليه من ذهب ان الأنفس
متميّزة قد فرقت بينها الهياكل والاشخاص والتجزئ تفرّق
والتفرّق عارض ولا متفرّق ألا ومتوهم تجمعه والتجمع عارض
وقد يعيش عايش ويموت مائت ولا يخلو من ان تبطل
نفس بموت صاحبها أو ترجع الى كليتها او تنتقل الى غيره
والبطلان والرجوع كلّها اعراض وقد أوضحنا الدلالة على
حدث الاعراض وهكذا القول في الأرواح على السواء
وكذلك تفاوت القول واختلافها وما يعرض فيها من
الحلل والنقص والسهو والغلط كلّها من دليل الحدث وما
العقل في قصور المعرفة إلا بمنزلة سَمْع الأذن وبصر العين وشبه
الأنف كلّها موجودة غير معلومة الكيفية والكمية فان
قيل أله هوية وإن لم نعلمها قيل الهويّة إضافة هو الى

معناه^١ وهو اشارة فاما معنى الموتة فالذات وای لمیری له ذات عالمة سمیة بصیرة قادرة حیة غیر معلومة کیفیّتها فإن قیل فهو عالم بذاته قیل له لیس هو غیر ذاته فتكون معلومة له غیر علمه ویكون له من ذاته علم ومعلوم وقد قال قوم انه هو الطباع ومنه حدّث العالم وتركبه فالطباع أشياء متنافرة متضادة مقهورة مجبورة وهذه فی علامات الحدث ثم هی غیر حیة ولا عالمة ولا مختارة ولا قادرة فیصحّ منها هذه الافعال المحکمة الثقّنة فان أطلقوا علیها هذه الصفات فی الباری بزعمهم وإنما غلطوا فی التسمیة وإن أبوا فی الفعل لا یصحّ إلا ممّن هذه صفاته واختلف أهل الإسلام فی اشیاء من هذا الباب فأنکر كثير منهم القول بالآینیة والمائیة ولا یخلوان من أن یكونا ایاه أو غیره أو بعضه فإن كانا غیره أو بعضه انتقض التوحید وان كانا ایاه فهو اذا أشياء كثيرة وقال ضرار بن عمرو وابو حنیفه رضی الله عنهما له أینیة ومائیة لانه لا یمکن أن یمشی موجود إلا وله أینیة ومائیة وعلة الأینیة غیر علة

^١ معناه. Corr. marg., ms.

المائية وذلك انك تسمع الصوت فتعلم أن له مَصَوْتًا
 وتجهل ما هو ثم تراه بعد ذلك فتعلم ما هو فليكن ما هو
 غير علمك بأينيته ومعنى المائية عندهما انه يعلم نفسه
 بالمشاهدة لا بدليل كما نعلمه واختلف المُشَبَّهة فزعمت
 النصرى انه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر
 الأحوال الملقَّب بشيطان الطاق انه جسم محدود متناهٍ وقال
 هشام هو جسم مُضَتَّ له قدر من الاقدار من العَرَض
 كانه [٢١٧] سبكة تالأل كالدرة من جميع اطرافها واحدة
 ليس بمجوف ولا متخلخل وحكى عن مُقاتل انه قال
 على صورة إنسان لحم ودم وسئل هشام كيف معبودك فأوقد
 سراجًا وقال هكذا إلا أنه لا ذبالة له وقال قومٌ جسم
 فضاء مكان الاشياء كلها واكبر من كل شئ وقال قومٌ هو
 الشمس بعينها وزعم قومٌ انه المسيح وقال قومٌ هو على بن
 ابي طالب وذهب قومٌ إلى اشياء كثيرة متبعضة مختلفة القوى
 والفعل إلا ان بعضها مُتصل ببعض وبعضها أعلى من بعض
 فأعلاها البارئ سبحانه ويزعمون انه لا جسم له ولا صفة
 ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن يُذكَر ودونه العقل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير
ثم الطبايع ويرون كل حركة او قُوّة حسّاسة أو نّامية منه وسيمرّ
بك النقض عليهم مجملًا في باب التوحيد ان شاء الله
وأحسن ما اختاره في هذا الفصل ألا يخوض الإنسان في شئ
منه إلا بإثبات الذات بدلائل الصفات فاما ما سوى ذلك
فيسكت عنه وليقتدِ نبيّ الله موسى حيث قال له الكافر
وما ربّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما ان
كنتم مُوقنين^١ هذا طريق السلامة فإن سأل بعض مَنْ لا يعلم
كيف هو وأين هو وكم هو فإنّ كيف يوجب التشبيه ولا شبه
له وكم استخبار عن العدد وهو واحد واين طلب المكان
وليس بمجسم فيشغل الأماكن،

القول في أنّ الباري واحد لا غير أقول أنّه لما صحّ وجود
الباري بالدلائل العقلية وجب ان يُنظر أواحد هو أم
أكثر لأنّ الفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد
يشارك الجماعة في بناء دار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل
على وحدانيته بإدّاء الدلائل على إثباته وذلك أنّه

^١ Qor , sour. XXVI, v. 22-23.

لو كانا اثنين لم يخلُ من أن يكونا متساويين في القوة والقدرة والعلم والإرادة والقدم والمشيئة حتى لا يُفرق بينهما بصفة من الصفات فإن كانا كذلك فهذه صفة الواحد لا يثبت في العقول غيره أو يكون أحدهما أقدم من الآخر وأقدر فالإله إذا القديم القادر إذ العاجز الحادث لا يستحق الإلهية أو يكونا معًا متقاومين متضادين فاذن لا يجوز وجود خلقٍ ولا أمرٍ لآله لو كانا كذلك لم يخلق أحدهما خلقًا إلا أفناه الآخر ولم يُنحي حيًّا إلا أماته الآخر فلما وجدنا الامر بخلافه علمنا أنه واحد

قديرو هذا ضمن قول الله تعالى لو كان فيهما إلهة لفسدنا
فسبحان الله رب العرش عما يصفون^١ وقال قل لو كان معه إلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبلاً^٢

ولو كانا اثنين لكانا قادرين على التمانع والتقاوم أو عاجزين عن ذلك فإن كانا قادرين لم يتصل تدبير ولم يتم وجود خلق وإن كانا عاجزين فوجود الخلق عن العاجز

^١ Qor., sour. XXI, v. 22.

^٢ Qor., sour. XVII, v. 44. Lisez سبلاً.

مُحالٌ أو كان أحدهما عاجزاً والآخر قادراً فهو كما قلناه آتفاً
ولو جاز القول باثنتين لوجود الشيء وضده لجاز القول بعدد
أعيان الموجودات لاختلاف أجناسها وأنواعها وأنها تمام القدرة
جوازها على الشيء وضده ففاعل الشيء إذا كان عاجزاً عن
ضده غير كامل القدرة والبارئ عز وجل دل على كمال قدرته
بإيجاد الشيء وضده ومن هاهنا تفرقت المجوس والثنوية
والدهرية وسائر فرق الضلالة فزعت المجوس بأن فاعل
الخير لا يفعل الشر وأن الشرير لا يفعل الخير لأن الجنس
الواحد لا يقع منه إلا الفعل الواحد كالنار لا يكون منها إلا
التسخين والتأجيج لا يكون منه إلا التبريد [p 18 r°] فستوا الإله
الخير هرمز والشرير الحبيث آهرمن وأضافوا كل حُسنٍ وجَميلٍ
وفعل حميد إلى الخير وكل قبيحٍ وذميمٍ إلى الشرير الحبيث
المضاد له ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أن الخير منها قديم
لم يزل وزعم بعضهم أن الشرير قديم أيضاً كقول الثنوية
بقدم الكونين من النور والظلمة وزعمت طائفة أخرى أنه
حادث ثم اختلف الذين قالوا بحدوث الشرير الحبيث كيف

كان حدوثه فزعت فرقة منهم أن القديم الحير تفكر
فكرة رذلة فاسدة فحدث من فكرته هذا الحبيث الشرير
وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهر خير لا يشوبه
شي من الشرور والآفات وزعم آخرون أن الحير هنا هفوة
فحدث منه هذا الضد بلا إرادة منه ولا مشية فعملوا الحير كالمفود
الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره وقد أقر هذان الصنفان
بوقوع الشر من الحير المحمود ووجود جنسين مختلفين منه
فما حاجتهما إلى إثبات فاعلين مختلفين فإذا جاز وقوع الشر
من هذا الحير المحمود فما يؤمنهم وقوع الحير من هذا الشرير
المذموم وزعت فرقة ثالثة منهم أنه لا يدري كيف
حدث هذا الشرير المنازع^١ للخير القديم فافصحوا بالحيرة
ونادوا على انفسهم بالشبهة وبم ينفصلون ممن يعارضهم إذا
جاز حدوث شرير فاعل للشر لم لم يجز حدوث خير فاعل
للخير حتى يكون خالقهم اثنين حادثين وقد زعموا جميعاً أن هذا
الشرير كأيّد الحير ونازعه الأمر وجمع الحير جنوده من
النور والشرير جنوده من أباض الظلمة فاقتتلا مدة من

^١ Ms. والنازع.

الدهر طويلة ثم تَوَسَّطَتِ الملائكة بينها ودَعَوَها الى
 الهدنة والمُودعة الى ان يضع بينها مدّة سبعة آلاف سنة وهى
 مدّة قوام العالم فاصطلحا على أن يكون أَكْثَرُ الأمر والحكم
 والقلبة فى هذه المدّة المضروبة للجوهر الشّرير فإذا انقضت
 المدّة افضى الأمر الى القديم الخير فأخذ الشرير يستوثق منه
 إلى أن ينقضى عالم الشرّ والفتنة والفساد ويصير الحكم الى
 الخير المحض وهذا ظاهر الانتقاض والاختلاف وكيف
 تطمئنّ النفس الى عبادة عاجز مغلوب على أمر وكيف يؤمن
 الشرير الحبيث على الوفاء بالمهود والمواثيق وهل هى منه
 ألا أفضل الخير واتمّ الاحسان فقد وُجد من جوهره الخير
 وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والقلبة وهو
 شرّ وليس من جنسه واختلفت الثنوية فزعم ماني وابن
 ابي الموحّاء انّ النور خالق الخير والظلمة خالق الشرّ وأنها
 قديمان حيّان حسّاسان وأنّ قطبهما فى الخلق اجتماعها وامتزاجها
 بعد أن لم يكونا ممتزجين فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج
 فأقرّا بمحادث حدث فى القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة
 منه فضاهايا المجوس فى قولهم أنّ الخير حدث منه الشرّ بلا

إرادة منه ولا مشيئة وزعم ديصان ان النور حي والظلمة
 موات فاحال أشد الإحالة إذ أجاز من الموات الفصل في
 خلق الشرور والآفات فناقضوا بأجمعهم في نفس الامتراج
 لأنه لو كان بدأ به النور فقد أساء في مخالطة الظلام
 وان كان بدوه من الظلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم
 أن النور لا يكون منه إلا الخير والظلمة لا يكون منها إلا الشر
 فكل خير منسوب الى النور وكل شر منسوب الى الظلمة
 واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفاء ما
 يشاكل [٢٨ ١٨] كتابنا هذا بعد أن نستقصيه في كتاب
 المعدلة ونشج القول فيه بمشيئة الله وقد سألهم جعفر بن
 حرب عن مسألة قليلة الحروف عظيمة الخطر فقال لهم
 أخبرونا عن رجل قتل رجلاً ظلماً فُسِّلَ أقتلته قال
 نعم من القائل نعم قالوا النور قال فقد كذب النور
 والنور عندهم لا يفعل الشر قالوا فهو الظلمة قال فقد صدقت
 والظلمة لا تفعل الخير وقال هل اعتذر أحدٌ من شيء قطَّ
 قالوا نعم والاعتذار حسن جميل قال فن المَعْتَذِر قالوا

النور قال فصنع شيئاً يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة
قال فقد احسنت اذا اعتذرت فقطعهم واستعظم قوم
القول بايجاد اعيان لا من سابق فقالوا بقدم البارئ وشئ
قديم معه أم الأشياء وآخر الهويات ومادة العالم والأصل
الذى حدث منه الأجسام والاشخاص فإنه جوهر بسيط
عاري من الأعراض ثم أحدث الصانع فيه أعراضاً من الحركة
والسكون والاجتماع والافتراق فتركب من حركاته العالم بأجزائه
فهولاء قد أوجبا شيئين قديمين مختلفين الى الذات والصفة
احدهما حي والآخر ميت ودخلوا في مذاهب الشنوية وناقضوا
أصلهم بأن البارئ لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنه علة
والعلة لا تفارق المعلول وجملة القول في الاعتقاد في المدوم
والموجود أن الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحس أو يُعرف أو
يصح منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه المعاني
فهو المدوم ولولا ذلك لكان كيف يعتقد المعتقد المدوم من
الموجود فان قيل فقد اعتقدتم القديم أفعدم هو وانتم
لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افترضون انتم
بينه وبين الميولي في المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن أنما نمتقد وجود البارئ بدلائل
صنمه وآثاره وليس يصح الهوى اثر ويوجب اعتقاده موجوداً
بل لو وصفتموه بافعال خاصية وجب اعتقاده وسنزيد
ايضاحاً لهذه المسئلة في فصل ابتداء الخلق ان شاء الله
تعالى،

القول بابطال التشبيه اقول أن التشبيه يوجب الاتفاق في
الحكم والمعنى على قدر المواقع من الاشتباه وذلك يزعم
أن حدّ الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى
على كلّ ذى طولٍ وعرضٍ وعمقٍ بالتجسيم لأنّ الاشتباه
بينهما واقع في جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالأجسام
وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنّاه يقول جسم
لا جسم ويلزمه أن يحكم على كلّ ذى طول بمحدّ من حدود
الجسم لأنّه من حيث استحقّ بعض أوصافه استحقّ الحكومة
به كما أنّه إذا حدّ العرض بأنّه لا يقوم بنفسه لزمه القول
بأنّ كلّ ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أليس قلتم انه
شئ لا كالأشياء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالأجسام أو
له وجه لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فإنّ الشئ اسم عام

للوجود والمعدوم والقديم والمُحدث وحده ما قد ذكرناه في موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون عرض ولا الى قديم دون مُحدث حتى يفرق به الى التفسير ما يدلّ [٢٠ 19 ٢٠] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه الا المؤلف المركب فلذلك لم يُجزّ إطلاق اسماء المُحدثات عليه لأنّ استواء أحكام المثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى ذهب الناشئ في قوله [بسيط]

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| لو كان لله شبه من خليقته | كانت دلائله من خلقه فيه |
| قد كان مقتضياً من نشو صانه | ما يقتضى النشو من آثار ناشيه |
| لكنه جلّ عن أوهام واصفه | فالحس يُعديمه والعقل يُبدييه |

الفصل الثالث

في صفاته واسمائه وكيف يجب أن يُعتقد

القول والفعل منه سبحانه

أقول أنه إذا ثبت وجود البارئ عز وجل وثبت وحدانيته بالدلائل التي قامت وجب أن يُنظر في صفاته وما يليق به أن يضاف إليه ويُعرف به فنظرنا فاذا من صفاته خاص وعام فالخاص ما لا يجوز أن يُوصف بضده كالحياة والعلم والقدرة ولا أن يوصف بالقدرة عليها ألا ترى أنه لا يصح القول بأنه يقدر أن يمحي أو يقدر أن يعلم أو يقدر أن يقدر ولا القول بأنه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا يقدر على كذا لأن ما كان موصوفاً بنفسه ثم وُصف بضدها كان الضد راجعاً إلى نفسه ولا تستقيم الإلهية بغير حياة وقدرة وعلم وهذه تسمى صفات الذات والعالم ما يجوز أن يُوصف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإرادة والرزق والخلق والرحمة
وهي صفات الفعل وللسلمين ومن قبلهم في هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعوا الى ضلال مَنْ خالف صاحبه في
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وانما ينبغي ان ينسب كل عدل ورحمة وفضل وجود إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أن صفات الله أقوال
وكنايات وهي كلها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قوم لا معنى لصفات الفعل وانما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت في الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يوجد
الموصوف مع عدمها قالوا فلم يزل الله خالقاً بارئاً رازقاً
مريداً متكلماً رحيماً حتى أتوا على آخر صفاته وفرق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف
كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته كلها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجوا بأنها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة ولدعي
فقل يا علم يا قدرة يا سمع يا بصر ولما قام بذاته

كما أن الصفات لا تقوم بانفسها ولا هي غيره لأنّ حدّ
 المتغايرين جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [١٩ ٧٠] فلو كان
 علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة
 وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هي
 بمضه لأنّ التبعض من دلائل الحدث واللّه لا يُوصف
 بالاباض والأجزاء وقالت المعتزلة في صفات الذات
 أنّها ليست من غير الذات شيئاً فذات البارئ عالمة حكّية
 قادرة سميعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سميع بذاته
 بصير بذاته وأنما الصفات ما وُصف اللّه به نفسه أو وصفه
 العبادُ بها قالوا ولا يجوز أن يكون علمه وقدرته هو ولا غيره
 لأنّها لو كانت هو لكان أشياء كثيرة مختلفة ولعُبدت
 ودُعيت فلو كانت غيره لكانت قدماء كثيرة وإن لم يزل
 مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل أحداث العلم غير
 عالم وقبل أحداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات
 فثبت أنّ ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة
 بها يقدر ولم يخلُ من أن يكون هي هو أو غيره وقالوا
 لا فضل بين من زعم أنه هو أو غيره أو بمضه قالوا وقول

القائل لا هو هو نفى وقوله لا غيره رجوع عن ذلك
 النفي وإثبات له فهؤلاء يزعمون أنه لو كان له علم لكان
 معه غيره ومخالفوهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان
 جاهلاً قالوا وهو موصوف بالقدّم والقدرة والعلم فلو كان
 عالماً بنفسه قديماً لما جاز أن يُوصَف بنفسه كما لا يُصَوَّر
 المصوَّر بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم
 بنفسه وإنما يشتم المشتوم بشتم ويصوَّر المصوَّر بصورة فصَحَّ أنه
 موصوف بصفات والصفات يشتق منها الأسمى فالقديم من
 القِدَم والقدرة من القدرة والعالم من العلم كما أن الحرة
 للأحر والصفرة صفة للأصفر ثم هو لا هي ولا غيرها قالوا
 ولو لم يشاهد عالماً الا بعلم ولا قادراً الا بقدرة فكذلك
 ما غاب عنا فقال لهم مخالفوهم أليس الحرة والصفرة
 عَرَضان في الأحمر والأصفر أو ليس العالم متنا بعلم علمه عارض
 فيه فهل الى تمثيل الباري بجسم ذى عرض وبهم ينفصلون
 ممن يزعم انه جسم أو عَرَض لوجود الفعل منه لأنه لا يظهر
 الفعل فيما يشاهده إلا من جسم حَدَثٍ فهل يجب علينا القضاء

بأنه جسم ذو أعراض وأبعاد إذا لم نشاهد الفعل إلا من
 جسم ذى أعراض وأبعاد كذلك لا يجب القضاء بأنه
 عالم بلم إذا لم نشاهد عالماً إلا بلم فإن قيل إذا أُجِزَتْ عالماً
 لا يعلم فَأَجِزْ جِسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا
 للزمك هو بعينه في إجازتك عالماً بلم لا هو ولا غيره ولا
 بفضه وأما تسليم أن المصور لا يصرّر بنفسه والمكتوب
 لا يُكْتَبُ بنفسه وإنما يصرّ بصورة ويكتب بكتابة
 والصورة والكتابة لا شكّ غيرهما وقولهم من الصفات يشتقّ
 الأسمى فالصفات هي الأسمى بعينها ليست أنّها أشياء كامنة
 فيه كالأعراض في الجواهر ولكنّه إذا أبدى فعلاً من أفعاله
 تسمّى به أو سمّاه المباد به والكلام يطول في هذا ويمتدّ
 ومتى اعمل الناظر فكره في هذا المقدار [٢٠ ٢] تبين له
 وجه الصواب بحول الله وقوته

القول في الأسمى اقول أن اختلافهم في الأسمى كاختلافهم في
 الصفات وعامة المتزلة على أن الأسمى هي الصفات وأن الاسم
 غير المسمّى وهو قول المسمّى وحدّ الاسم ما دلّ على المعنى وقالت
 فرقة أن الاسم والمسمّى واحدٌ واحتجوا بقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره
وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فدلّ على
أن اسم الله هو الله وقال اذْكُرُوا اللَّهَ ثم قال في موضع
واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأن الاسم لو كان
المسمى لكان اذا غيّر غيّر المسمى واذا أحرّق أحرّق أو غرق
أثر ذلك كله في المسمى وكلّ مسمى سابق اسمه وجائز
تبدّل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمى واحد غير
مختلف وقد قال الله عز وجل وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يدعى وهو غيره لا شك
وأجمت الأمة أنّه غير جائز أن يقال له يا حسن على
أن يكون حسنه في ذاته وأنما يوصف بحسن القول والفعل
وقد أخبر أن له أسماء حسنة في غاية الحسن ونهايته
فمقلّ أنّه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
ولا يجوز إطلاق شيء من ذلك على الباري سبحانه وتعالى
واسماؤه تختلف باختلاف اللغات فكما أن لغة الفرس
هي غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتُكُمُ وَالْوَأْنِكُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك
الاختلاف شائع فيه لا شك اللهم إلا أن ينكر أن لا يكون له
غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف
اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأنه غير ممكن ذكر
شئ إلا باسمه ثم قوله سَبِّحْ لَهُ واذكروا الله واذكر
رَبَّكَ على ما يتعارفه الناس ان الشئ اذا لم يكن ذكراً في
نفسه لم يكن ذكره إلا باسمه وقول القائل الله معلوم
أنه اسم عربى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأن
الله عربى او عجمى فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات
من أقوال العباد وكتايباتهم فلم يكن له اسم ولا صفة قبل
الخلق وكان عطلاً غفلاً الى أن سَمَّاهُ العباد قيل قد قلنا أن
صفاته على وجهين صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات
الذات لم يزل بها موصوفاً وان لم يصفه بها واصفه كما أنه
لم يزل واجداً فرداً وان لم يكن خلق يوحده وعالماً وان لم يكن
المعلوم موجوداً وقادراً وقديماً فاما القول بأنه لم يزل
مَدْعُوّاً أو معبوداً أو مشكوراً فالشاكِر والعابد والداعى

ليسوا لم يزلوا وكذلك القول بأنه لم يزل خالقًا رازقًا
يقتضى اذلية المخلوق والمرزوق اللهم إلا على جهة القدرة على
الخلق والرزق فإنه يستقيم له ذلك وكذلك لو
قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيُبْصِرُ وَسَيَسْمَعُ وأجمع
المسلمون أن الله حي قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم
حكيم متكلم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضل
غني واختلفوا في تفصيل هذه الصفات وعلمها فزعت طائفة
أنه عالم لأن له علمًا وزعم آخرون أنه عالم بذاته لأنه
يدرك الأشياء كما هي وقد تقدم حُججُ الفريقين مجملًا
وكذلك قولهم في القِدَم والقدرة فن ابى^١ القول بأن
حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم
الموجود لا إلى أول وحدّ القادر الذي لا يمتنع الفعل عليه
باختياره وأجمع هؤلاء أنه موجود [٢٠ ٢١] بينه وذاته ولا
يُوجد لأنه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود من
أن يكون موجودًا أو ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

^١ Ms. حجاج.

^٢ Ms. الى.

دخل في باب العدم وإن كان موجوداً فقد وجب أن يوجد
 بوجود آخر إلى ما لا نهاية والقول بما ليس له نهاية يؤدي
 إلى قول أهل الدهر وقالت طائفة أنه حتى بحياة
 عالم يعلم وزعم آخرون أن معنى الحى وجود الأفعال منه على
 اتفاق واتساق واختلفوا في ذاته ألها نهاية أم لا فقال
 أكثرهم أنه غير متناه لأنه لا يجسم ولا عرض ولا حد له
 فيقتضى النهاية وهو مبدع النهايات والحدود وزعم هشام بن
 حكم أنه متناه وكذلك يلزم كل مجسم وقد قال
 أصحاب القضاء أنه غير متناهى الذات واختلفوا أذاته
 مرئية أم غير مرئية فن قال بالتشبيه أو رأى الرؤية
 العلم قال هو مرئى كما هو موجود معلوم ومن أبى ذلك
 قال غير مرئى كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف
 في التوفيق بين الرؤية والعلم واللمس والتفريق بينهما
 واختلفوا في الكلام فن قال هو من صفات الذات قال
 غير محدث ولا مخلوق لأن الله لم يزل متكماً بكلام لا هو هو
 ولا هو غيره ولا بهضه ومن قال من صفات الفعل قال هو
 محدث لأن الكلام يقتضى متكماً واختلفوا في الإرادة

بحسب اختلافهم في الكلام واختلفوا في المكان فقال أكثرهم
 انه بكل مكان حافظاً مدبراً وعالماً وقادراً وليست ذاته بجسم
 فيشغل الأماكن ولا يمرض فيحل الأجسام ومن كان بهذه الصفة
 فقير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشيئة انه
 في كل مكان ذو مكان وذلك مُطَرَّدٌ على أصله لما يراه جسماً
 وقال قوم انه في السماء فوق العرش بذاته بلا نهاية
 لا يكون الشئ على الشئ بالماسية والاضلال وزعم ابن
 كلاب انه على العرش لا في مكان واذا أجازوا أن يخلق الله
 جسماً لا في مكان وأن يُقيم العالم لا في مكان فما ينكرون من
 كونه لا في مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلفوا في العلم
 فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون
 ولا يجوز أن يخفى عليه شئ إلا بأثمة استفاد علماً او أحدثه
 لنفسه بل ذاته متنبئة عالة وزعم قوم من الإمامية أن الله
 لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أن من
 يخلقه بكفر به ويؤذيه لما خلقه وأجازوا فسح الخبر
 والبداء وأول من أبدع هذا الرأي في هذه الأمة المختار بن
 ابي عبيد كان يزعم أنه يعلم ما يحدث من جهة الوحي فيخبر

أصحابه بكوائن فإن اتفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربكم وكان جهم بن صفوان ينفي الصفات كلها عن الله
سبحانه ويُنكر القول بأنه شيء زعم فراراً من التشبيه ويقول
عِلْمُ الله محدث وجلة الرد على هؤلاء أن الجاهل منقوص
ومستحق المذمة لا يستحق الإلهية وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله أنه لا يكون لأن عِلْمَ الله ليس بعلّة ككون الشيء
ولا حامل للمعلوم على الكون كما أنه لم يزل عالماً بخلقه العالم
قبل خلقه ثم لم يُجز القول بأن علمه علّة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا ومما علم الله أنه لا يكون أمور علم أنها
لا يكون لاستحالة كونها [fol 21 r°] ككون إله معه أو كون
سريك أو كون غالب يغلبه أو كون نهاية وانقضاء له ومنها
أمور علم أنها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبداً بما يعلم أنه لا يكون منه ما
يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وإنما يجوز الأمر
لمن علم أنه قادر على الفعل لأن القدرة هي التي تقتضي
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لأنه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزاً جاهلاً وهذه هي مناظرة بين الفريقين مليحة
 مفيدة قالوا لهم أليس في قولكم إن الله لم يزل عالماً بأن
 فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر ان يؤمن
 وقد علم الله أنه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون
 يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله ان فرعون
 لا يقدر ان يؤمن كما علم انه لا يؤمن ثم قلنا انه آمن أو يؤمن
 لكننا مُبطلين مجهلين ولكننا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه
 يقدر ان لا يؤمن ولم يؤمن فلم نكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا
 عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالماً بأنه يقيم القيامة في وقتها
 وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول
 بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان
 قادراً على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى ان يفعل ما علم
 انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره
 بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه واختلفوا في جواز
 وصف الله بالقدرة على الخيال كإدخال العالم في جرة او
 بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنه يقتضى
 العلم مقدوراً كما يقتضى العلم معلوماً فكل ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
واختلفوا في وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
قوم. لأن ذلك مذموم لا يفعل إلا عن قص أو حاجة ولو جاز
ذلك لم يكن مأمومًا ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
والهجز وكان أبو هذيل يقول هو قادر على ذلك ولكن
لا يفعل لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
عليه فيكون محالًا واختلفوا في قدرة الله تعالى هل هي علم الله
أم غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
طائفة أن علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنه لو كان العلم
والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
القول بأنه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
البارئ في حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم
داود بن علي أن علمه غير قدرته وأما المعتزلة فليس من قولهم
أن له علمًا وقدرةً حتى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا في
التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وما هم يكتسبوه من
المعاصي والآثم وقضائه إياها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعد أن أوجدها منهم فقال قوم كلّ ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأنّ الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُرادِهِ او مشيئته
وإيجاده لكان عاجزاً مغلوباً وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا مآقبين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا ولا عالمًا [١٥ 21 ١٧] ولا رحيمًا وهذا من باب الحير
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ وُجد في العالم حيّان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأمور أوساطها
فقد قيل الناظر في القَدَر كالناظر في عين الشمس لا يزداد على
طول النظر آلة حيرةً ودهشًا ومَن طاوعته نفسه بالإمساك
عن الخوض فيه والاعتصار على ما في الكتاب رجوت ان يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

فى تثبيت الرسالة وانجاب النبوة

أقول أن منكرى الرُّسل صنفان أحدهما المَطلَّة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلا بعد إقرارهم بالتوحيد والثانى البراهمة اقرؤا بالصانع وانكروا الرسالة واحتجوا بأن الرسول لا يأتى إلا بما فى العقل او بخلافه فإن كان يأتى بموجب العقل فما فى العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسن واستقبال القبيح وان كان يأتى بخلافه فلا وجه لقبوله لأن الخطاب وقع على نوى المقول والقضية لها والتمييز اودعتها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبداً لا يأتى إلا بما فى العقل إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما فى العقل ولكن من الأشياء مما يعمى ويلطف حتى يخطئه العقل او يخفى ويحتجب حتى

يقصر دونه العقل كانتفاع الانسان بما ينزع اليه نفسه ويشتاق
اليه طبعه من ملاذ الاعذية والملاهي القوية فانه حسنٌ في
العقل الأخذ منها بقدر الحاجة بل واجب وغير حسن اذا كان
لا يملكها الانتفاع بشئ منها الا بعد الإذن من مالكها فصار فعل
العقل في حال خلاف فعله في حال فذل ان العقل لا يستغنى
بنفسه رإا يضامه شئ من السمع مع أن العقل محتاج الى الرياضة
والتمييز والسمع والتجارب لا غير موهوم لو ان أكل الخلق
عقلاً واوفاهم فطنة غيب عن الناس وليداً حتى لم يسمع
شيأ الى ان بلغ فأدرك انه يمكنه استخراج علم الفلسفة
والهندسة والطب والتنجم وغير ذلك فذل هذا كله أن
العقل غير مكثف به ولا بد من معلّم ومعرف وهادٍ ومذكر
ولا يجوز ان يقع العلم بهذه الاشياء إلهاماً ضرورياً لأننا ليس
نشاهد ذلك في أجناسها وامثالها وان لا يكون كلها بالا استخراج
والاستنباط من غير مقدمة وأصل سابق فان قيل اذا كان
البارئ مريداً لصلاح خلقه غير بخيل^١ ولا عاجز ولا يمه
تكلف ولا علاج فيما يفعله فهلا جعل خلقه رؤسلاً وألهمهم من

العلم ما استغنوا به على الرسل او حبس طباعهم عن التخطي
إلى محظور قيل لو فعل ذلك لم ينزلهم دار البلوى والامتحان
ولا عرضهم لشرف الثواب وما هو إلا كقول من يزعم لم
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم في الجنة
وهذا باب التجويز [٢٢ ٢٢] والتعديل وليس كتابنا هذا
بنينا له^١ ولكن لو فعل كان له ما فعل فإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل أو عجز وهذا الظن نقض التوحيد وإبطال الدين
فيما د الكلام فيه وتقرر بأنه عادل حكيم لا يفعل إلا الأصلاح
بخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كلهم رُسُلًا لوجب أن يسوى
بينهم في الفضل والعقل وإياه والمال والقوة ولو فعل لما عرف
فاضل فعله ولا قوى قوته ولما شُكر وحُد في إسقاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والذم وهذا قبيح في
العقل فدلّ أنّه لم يُعزّ التسوية بين الخلق لا في الحال ولا
في المال ولا في الرسالة فان طعنوا في الرسالة بما يوجد
فيها من سفك الدماء وذبح البهائم وإيلام الناس فإنّ العقل
لا يردّ شيئاً من ذلك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

^١ لهذا بنينا. Corr. marg.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريمة وعلى الفصد والحجامة
وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير
ذلك فيوجب عليه أن لا يردع ظالماً ولا يفتص من جارة
وهذا قبيح وترخيص في الفساد ومن أعظم الدلائل على
وجوب الرُّسل هذه اللُّغات المختلفة التي تُلَقِّظ الناس بها
ويتعارفون بها ما يحتاجون الى معرفته ولا بُدَّ من معرف
ومعلّم لها أسماء المسميات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات
والآلات التي يتوصّل بها اليها وليس في وسع الناس استخراج
لغة ووضع لفظ يتفقون عليه إلا بكلام سابق به يتداعون
ويتواضعون ما يريدون وليس في المقول معرفة ذلك ولا بدّ
من معلّم قال الله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ثُمَّ إِذَا صَحَّت النبوة ووجبت الرسالة بقي أن يُعلم الفرق
بين النّبى وبين المتنبي لأنّ الأشخاص متساوية متماثلة ففرّق
الله تعالى لما اراد من أقامه حجّته وإظهار دعوته بين الصادق
والكاذب منهم بما خصّه به من الآيات الباهرة والعلامات
المعجزة الخارجة عن العادة والحدّ وذلك معروف معدود كما

يُحْكِي عَنْ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَغَيْرِهِمْ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

القول في كَيْفِيَّةِ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، أَقُولُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ
فَلَهُمْ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْبَابِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ
أَنَّ الْوَحْيَ إلهَامٌ وَتَوْفِيقٌ وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ قُوَّةَ الرُّوحِ الْقُدْسِيِّ
وَعِنْدَ الْفَلَسَفَةِ النَّبُوَّةُ عِلْمٌ وَعَمَلٌ وَالْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ الْوَحْيَ عَلَى
وَجْهِهِ فَهُوَ الْإلهَامُ وَمِنْهُ الرُّوْيَا وَمِنْهُ تَلْقِينَ وَمِنْهُ تَنْزِيلٌ وَهَذِهِ
مَسْئَلَةٌ مِنْ فِصْلِ الصِّفَاتِ اغْتَلْنَاهَا فِي مَوْضِعِهَا فَحَرَرْنَاهَا فِي هَذَا
الْفِصْلِ وَهِيَ كَيْفِيَّةُ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ
فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ فَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ فِعْلٌ مِنْهُ فَهُوَ بِهِ
مَتَكَلَّمٌ وَكَذَلِكَ إِرَادَتُهُ وَمَشِيتُهُ وَجُبُّهُ وَبُغْضُهُ وَقَوْلُهُ
كُنْ فَيَكُونُ تَكْوِينٌ مِنْهُ لِشَيْءٍ وَالْقَوْلُ زِيَادَةٌ قَالُوا لِأَنَّ هَذِهِ
الْأَشْيَاءَ أَعْرَاضٌ تَحِلُّ فِي مَوَاضِعٍ لَهَا مَعْلُومَةٌ وَلَيْسَ هُوَ بِمَحَلٍّ
الْأَعْرَاضِ وَقَالَ عَالِمَتُهُمْ أَنَّ الْفِعْلَ تَكْوِينٌ [٢٠ ٢٢ ٧٠] وَإِيجَادٌ مِنْ
غَيْرِ مَعَالِجَةٍ بِمَجَارِحَةٍ إِلَّا مَنْ شَذَّ فَزَعَمَ أَنَّهُ يَخْلُقُ بِيَدَيْهِ
وَالْأَفْعَالُ عَلَى وَجْهِهِ كَثِيرَةٌ فَهُوَ الْفِعْلُ بِالْقَصْدِ وَالِاخْتِيَارِ وَمِنْهُ
الْفِعَالُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ عَلَى السَّهْوِ وَمِنْهُ الْفِعْلُ بِالِاتِّفَاقِ وَالْبَحْثُ

وكلها حركات ومنه فعل التولد كما يفعل الشيء بطبعه وفعل
الله تعالى غير مُشَبَّه بشيء مما ذكرنا وزعم قوم أن كلامه ليس
من أفعاله وفرقوا بين القول والفعل ولقد امتد بنا القول إلى
هذه وما كان قصدنا أن نبلغ كله ولكن لما رجونا من الخير
وأملنا من هُدَايَةِ الناظر في كتابنا واهتدائه به ولما نرى
من فساد الزمان وأهله وتحرم طالع الاتحاد والنفاق واعجاب
كل ذي حرفين بنفسه لإنتقاص العلماء ودروس آثارهم وما
قدمت من عمل هو أَوْكَدُ في نفسى أم لا' وأوثق عُدَّة من
جميع هذا الكلام والاجتهاد في شرحه وأسأل الله الذى من
وأعان أن يعصم من زُفَات الشيطان وينفع به الناظرين
والمستفيدين وإن يرحم من عذرنا في تقصير إن كان منا وقام
بتقويم أَوْدِهِ وإصلاح غلطه مشارِكًا لنا في ثوابه وأجره فلم
يتمد فيه خطباء وتحريفًا ولا حملتنا الحمية والتمصُّب على تزديد
أو إبطال أو تغيير رواية أو حكاية بل سقناها على وجهها
وأديناها بأوجز لفظها لعلنا بعموم الحاجة إليه من الأعاجم
والأُمِّيِّين مبتدئ المتعلمين ،

الفصل الخامس

في ذكر ابتداء الخلق

قال انّ الموحّدين في معنى إيجاد الخلق مختلفون لأنّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرر ففيه غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضارّ فأما إذا كان غنيّاً من احتراز منفعة ممتنعاً من لحوق ضرر فقير سفيه ولا عايب وقد قامت الدلالة على أنّ الباري كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العيب من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وإن خفى علينا وجهه لعلنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف آراء الناس في ما لاح لهم من الحكمة في خلقه وإن كان لا يجوز القطع على شيء منه لظنّه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذ الجواد بإفاضة

الجود على المجهود عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينعمهم وينفع بهم يعنون لتعبر^١ المتكلفون بالخلق غير المكلف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعاء الشكر والثناء وقيل ليلم علمه أنه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئاً من ذلك خلقهم لما شاء ولا علم لنا بمشيئته هذا قول من اقرّ بمحدث العالم وأن له محدثاً سابقاً له فأما من أنكر ذلك فإنه احتجّ للقِدَم والاهمال بأنه لو كان للعالم صانع او مدبر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سباع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأوجاع ولا حرَم ولا موت ولا حزن ولا فاقة وآية حكمة فى انشاء صورة حيوانية او نامية ثم فى إفنائها ولما استوى حال المعاند والمحيب ولما فضل العالم الجاهل بالجاه والمال والمنزلة [r²⁸ 28 r] وهل لا^٢ أخبر الخلق ان كان له خالق على التناصف والتواصل ولمْ خُلِ بينهم وبين التعادى والتظالم والتباغى والتهاجر وهذا كله مضحك متلاشٍ بشهادة آثار الخلق

^١ Ms. لتعبر.

^٢ Ms. هل ; corr. marg. هل.

على تفاوته واختلافه في الظاهر من الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون والاعراض والمقارنة له بمعرفة كمال
القدرة ووجوب العبرة في خلق الأضداد وللكاره وإعطائه
الخلق القوة والقدرة والاختيار ليستحقوا بأعمالهم أشرف الثواب
وليرتدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما
يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضده لكانوا جامدًا موابيًا
ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بجوانبهم ولا وجدوا بعقولهم
إلا الشيء الواحد الذي يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذ تكليف
ولا وقع منهم تمييز وترك إلحادهم على هذه الصورة انفع لهم
وابلغ في الحكمة ولا يفعل الله إلا الأصلح الأحكم وأما
فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فالعلم أفضل من المال لأنه
السعادة اللازمة والمال من السعادة المفارقة فلو أنصف هذا
الزاعم في القضية لفضل الجاهل بالمال على العالم لفضل العالم
على الجاهل بأضعاف عله لتساوى حالتهما وقد سئل جعفر بن
محمد الصادق رضي الله عنه عن هذه القضية قال ليعلم العاقل
أن ليس إليه من أمره شيء وإي لعمري هو من أدل دليل
على مدبر قدير قاهر وهولاء المعطلة اقل الناس عددًا

واوهمهم عُدةً وافيلهم رأياً وأوهمهم عزماً وأنقصهم حجةً
وأخسهم دعوىً وأدناهم منزلةً وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد
في أمةٍ وجيلٍ إلّا في الدهر والحين لأنّه رأى مشرذل
وعقيدةً معجورةً وعزمٍ مدحولٍ لا يبدو إلّا من قَدَمٍ جاهلٍ
أو معاندٍ وما أراه انتشر في أمةٍ من الأمم وزَمَنٍ من الأزمنة
انتشاره في زماننا هذا وأمتنا هذه لتشرّ أهله بالاسلام وتحلّيتهم
تحلية شرائعهم ودخولهم في غمار أهله واحتال من احتال لهم
بلطيف التويه في تسليم الأصول الظاهرة والمصير به إلى
التأويلات الباطنة فهم يُرَقِّقون عن صَبُوحٍ ويحتسون في
إرتقاءٍ وذلك الذي حقن دماءهم وغمد سيف الحقّ عنهم
نابع في قديم الدهر وحديثه وأبداً صُنِّعَتْهُ إلّا عوجل بالاستئصال
واحت من الأوصال واستنجر العدة فيهم سنّة الله في الدين
خَلَوْا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً زعموا أنّ هذه الدنيا
قديمة لم تنزل على ما هي عليه ولا تزال كذلك من صيفةٍ
بعد شتوةٍ وشتوةٍ بعد صيفةٍ وليل بعد نهار ونهار بعد ليل ونطفة

Ms. يزل.

Ms. يزال.

من إنسان وإنسان من نطفة ووالد من ولد وولد من والد
وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الأشياء الحساسة
والثامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبر لا أول لها ولا آخر
فإن هذه دعوى جائزة ومقالة باطلة ولو كان هذا المدعى
لم يزل مع أزلية العالم بزعمه لما ساعد له دعواه أن لم يثب
له دليل من غيره على أزليته فكيف وليس هو بمن هو لم
يزل ولا هو بمن لا يزال وإن اعتمد فيه خبر من كان قبله وإن
من أخبره لهوفى حاله وحدوثه لم يشاهد من ذلك إلا ما
شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم له [٢٣ ٣٠] فى الكون
والحدوث لأن الدعاوى تصح بالحجج لا بالصفات وإن زعم أنه
قاس ما مضى منه بما هو مستقبل فيما بعد وأنه غير منقضى
فهذا القضاء أجود من الأول وأضف مدة بل هو نفس دعواه
التي خولف فيها والمعارضة قائمة فإن زعم الحال والوقت
الذى هو فيه فإن هذا رأى من قصر عليه وسخفت معرفته
وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه فى الحال
والوقت لم يكن قط نطفة ولا علقة ولا مُضغة ولا جنيناً
ولا رضيعاً ولا يتغير فيما بعد فيكتهل ويشيب ويهرم وتجربى عليه

الحوادث وتنتقل به الأحوال ومعاينة هذه يضطره إلى
 الإقرار ويبين عنه وجه العناد وإن زعم أن حكمه في نفسه
 خلاف حكم العالم قيل ولم زعمت ذلك وهل أنت إلا جزء
 من العالم بل قد شبهت في جميع معانيه فسميت العالم الأصغر
 وكذلك كل ما يبين من الأشخاص والأنواع العلوية
 والسفلية من الحيوان والنبات ألا ترى أنك لو عمدت إلى
 كل جزء من أجزاء العالم فاخصصته باسم لحصل العالم
 لا شيء كما أنك لو فرقت الجوارح والأعضاء لحصل الإنسان
 لا شيء فهذا يدلك أن الكل اجتماع الجزء لا غير فإن
 قال لا يقوم في الوهم ولا يتصور في النفس حدوث هذا
 العالم ولا فناؤه وانقضائه عورض بأنه لا يقوم في الوهم
 ولا يتصور في النفس قدم العالم ولا بقاءه مع أن القضاء عليه
 بالحدث والانقضاء أقرب إلى الأوهام وأشد ارتباطاً لنفوس
 لقيام الدلائل الواضحة والبراهين الشافية فإن قال كيف يمكن
 اعتقاد حدوث هذا العالم لا من شيء ولا في زمان ولا مكان
 فإن هذا اشتطاط في المطالبة وجور في القضية لأنه تكليف
 تمثيل ما لا مثل له وإحساس شيء غير محسوس وليس نعلم

كالدنيا دُنْيًا غيرها فنشبهه هذه بهذه وانما نحكم بحدوثها لشهادة
 أثر الحدوث بها والماضى الذى لا رأى له ولا نظر عنده
 يطلب الدلائل الظاهرة على الاشياء الخفية وذلك مُحال
 بمنزلة مَنْ يجب أن يرى ما لا يرى وأن يسمع ما لا يسمع
 او يسمع ما يرى ويرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل
 المعلومات منازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس
 بالحق ومن المدلول عليه بالدلالة وقد لعمرى لا يتصور فى
 الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثم
 لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فإذا تكافأت
 الصورتان لزم المصير إلى أشبهما دلالةً وأدناها إلى الحق درجةً
 فإن الدلائل شاهدة بآثار الحدث والقدم موهوم وقضية
 الدلالة عليه من قضية الوهم والدليل على أن العالم حادث
 غير قديم كما يزعمون وأنه لا أول له ولا حركة إلا وقبلها
 حادثة لو كان كذلك لما جاز وجود ما هو حاضر فى الحال
 من حركة أو ليل أو نهار أو شخص ما لأن ما لا نهاية له
 فى وجوده وعدمه فمحال أن يوصف بأنه قد تنهى وانقضى
 حدوثه وفُريغ منه ولأن ما لا أول له فغير جائز وجود ثانيه

ولا وجود ثالثٍ ما لا ثاني له ولا وجود رابعٍ ما لا ثالث له
على هذا القياس كما أن ما لا غاية له ولا نهاية في
المستقبل [٢٤ ٢٣] محال أن يُوصَفَ بأنه ينقضي أو ينقطع يوماً
كذلك من زعم من الحوادث لم يزل يحدثُ بلا أول فهذا
الحادث في الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثة^١ إما
أن يكون هو الأول أو بعد الأول ولا أول ولا بعد الأول فإن
كان هو الأول وإن كان بعد الأول فقد ثبت الأول وإن كان
لا أول ولا بعد الأول فهذا فسادة ظاهرة فكأنه قال شيء
لا شيء ولو جاز وجود ما لا أول له لجاز وجود العشرات
من غير تقدّم الآحاد ووجود المئين من غير تقدّم العشرات
ووجود الألوف من غير تقدّم المئين^٢ لأنّ بالأحد يتم الاثنان
وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أن قائلاً لو قال لا تُثبت الأرض
حتى تمطر السماء ولا تمطر السماء حتى تتنمى ولا تتنمى حتى يشور
البُخار ولا يشور البخار حتى تهب الرياح ولا تهب الرياح
حتى يحركها الفلك ولا يحركها الفلك حتى تكون كذا ويمدّ

^١ Ms. مله .

^٢ Ms. المائين .

في هذا الاشتراط شيئاً قبل شيء. أبدأ الى غير نهاية ولا غاية
 لم يميز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنه مُعلق
 بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنه غير متناهٍ وكذلك
 من زعم أنه لم يكن حركة إلا وقبلها حركة ولا انسان إلا وقبله
 انسان ولا نبت إلا وقبله نبت الى ما لا غاية ولا نهاية
 فحال وجود هذا الانسان والنبت لأن وجوده كان مُعلقاً
 بشرائط لا أولها وما لا غاية له لا يوجد ولا يُعلم ولا يُوهم
 وكذلك لو قال قائل لا أدخل هذه الدار حتى يدخلها زيد ولا
 يدخل زيد حتى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
 ثم كذلك الى غير غاية لم يميز دخول زيد ولا غيره أبدأ
 وكذلك لو قال لا آكل تفاحاً حتى آكل قبلها تفاحة
 لم يصح له اكل تفاحة ابداً لأنه كلما ضرب يده الى
 تفاحة يأكلها منه شرط اكل تفاحة قبلها، ومن الدليل
 على حدث العالم أو أن له أولاً انا لو توهمنا عند كل حركة
 مضت من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ او ظهور شخص لكان
 ذلك اجساماً حاضرة يحضرها العدَدُ ويبقى عليها الحسابُ
 وكذلك لو توهمنا هذا العالم حياً عالمًا لجاز أن يُعدَّ حركاته

وسكناته فيكون ذلك عددًا قائمًا معروفًا لمبلغ وما له
 مبلغ وأتى الحسابُ عليه فتناء وكلّ متناهِ له أوّل وإن لم يتناهِ
 ومن الدليل على حدث العالم وأنّ له أوّلًا أن ما مضى من
 حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويةً
 أو أكثر منها أو أقلّ فإن كانت مثلها فالمثل كالنصف وما
 له نصف فتناء والأكثر والأقلّ تدلّ الكثرة على تضاعف
 أجزاء الأكثر على الأقلّ فاذا ثبت تقدّم إحدى الحركات
 على الأخرى وما له تقدّم فتناء وله أوّل وهذا من الحجج
 الواضحة التي يهّمها كلّ سامع وللموحدين في هذا الباب من
 دقائق النظر بما ألهمهم الله من توفيقه ما لا يظهر عليها إلا
 اللقن الفطن ولها موضعها من كتابه فإن قيل أليس الحوادث
 عندهم في المستقبل لا تزال إلى الآخر وإن كان لها أوّل يريدون
 قول أهل التوحيد ببقاء الآخرة على الأبد فما أنكرتم أن ما
 مضى من الحوادث لا أوّل لها وإن كان لها آخر قيل إنّنا
 لا نزعم أن ما له أوّل لا يجوز أن يكون له آخر وإن
 الحوادث غير متناهية [٣٦ ٢٤ ١١] ولكننا نقول أنّ الحوادث لا يزال
 يحدث منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غاية ولا يخرج كلّها إلى

الوجود حتى يُرى موجودًا لم يبقَ منه شيء لم يُوجد وليس أول
الشيء بموقوف على صحة وقوع آخره كما أن آخره موقوف على
صحة وقوع أوله لأنه يستحيل وقوع آخر لا أول له ولا
يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
فاعل متقدم ثم لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقياً أبدًا أو
كما أن الأعداد مفتقرة أبدًا الى أول تنشؤ منه وتبتدى ثم
لم يجب وجود تناهيها لتناهي أولها ومن الفرق بين المستقبل
والمستدير أنه يجوز وجود ما لا يزال يتحرك ولا يجوز وجود
ما لم يزل يتحرك كما أنه يجوز وجود من لا يزال يعتذر من
ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذرًا لأن الاعتذارات
لا بُدَّ لها من أول وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
الأفعال لا بُدَّ أن لها أولًا ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
ها هنا التزم بعض الموحدين بأن الحوادث لها آخر آخر العلة
الحدث وإن زعم أن هذا العالم وما فيه من فعل الطبايع وما
أوجبه ذواتها فالطبايع مركبة من البسائط والتركيب عرض
وهو دلالة الحدث فالطبايع إذا مُحدثه ثم هي جماد وموات
كالخبر والشجر ثم هي مستخرة مقهورة بدلالة أن من شأنها

التنافس والتضاد فلما رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنه
 يقهر قاهر وضبط ضابط ثم هي غير عالمة ولا مميزة وإذا كان
 هذا هكذا استحال وجود هذه الصنعة المحككة المتقنة
 العجيبة البديعة من مُسَخَّر غير عالم وليس نُكْر فعل الطبايع
 وتأثيراتها في المطبوعات من الحرّ والبرد في الفصول والارباع
 لأنّ الله تعالى وضعها على ذلك وركّب فيها تلك القوة
 وسخّرها لما أراد أن يصرفها عليه وجعلها سبباً لتلك السبببات
 ومتى شاء سلبها تلك القوة وأبطل فعلها كما جعل الطعام
 مُشْبَعاً والماء مرويّاً وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه
 تحمّزاً لمذهبهم وإن يصحّ فعل من حيّ قادر فأما الاختيار
 والتدبير فغير جائز إلا من قادر حكيم وكذلك على من
 يزعم أنّ هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها
 فإن قيل إذا لم تَرَوْا حيّاً قادراً فعل انساناً وصورة وركّب
 فيه العقل والقوة والسمع والبصر ثم قضيت بأن في الغائب حيّاً
 قادراً يفعل ذلك ما انكركم أن يكون الطبايع تصوّر مثل
 هذا الانسان وإن لم تروا مثل هذا في الشاهد قيل وما
 سوا لائنّا وإن لم نشاهد حيّاً قادراً فعل انساناً فقد شاهدنا

حيّاً قادراً فعل شيئاً وأبدعه فدلّنا انه لا يجوز فعل في الغائب الآ من حيّ وليست الطباع بحية ولا قادرة فإن قيل أليس النار تُحرق والماء يَطرَب قيل فقد يقولون فلان يحرق ويبرد ويضيفون الفعل الى المختار الحىّ والموات المضطرّ ولو كانت الطباع بذاتها لما جاز عليها الاتفاق مع تضادّها فإن قيل شئ تلمونه خالياً من الطباع أو غير متولد منها قيل الطباع نفسها متولدة منها وأكثر القدماء على أن الأفلاك ليست من جنس الطباع وهل يصحّ القول بأن الحركة والسكون والصوت والحجز والقدرة [٢٥ ٢٦] والعلم والجهل والحبّ والبغض والألم واللذة والكراهة والإرادة وغير ذلك من الأضداد والأشكال من الطباع أو أنّها ليست بشئ خرجها من أنواع الطباع وأما احتجاجهم بالاستحالة فذلك محال الا محيل^١ لانه لو جاز أن يستحيل الشئ بنفسه لجاز ان يتلاشى بنفسه ولو جاز ان يتلاشى بنفسه لجاز أن يتركّب ويخرج إلى الوجود من العدم وهو عدم فلما لم يجوز هذا لم يجوز ذاك وبالله التوفيق ، ومن الدليل على حدث العالم أنّه لا يخلو

^١ كذا في الأصل : Note marginale :

من أحد الامرئين إما أن قد كان وإما أن لم يكن فكان
 فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنه
 ما كان فدلّ أنه لم يكن فكان ثم لم يخلُ هذا من أحد
 الامرئين إما أنه كان بنفسه وإما أنه كان بمكوّن غيره فإن
 كان بنفسه فحال أن يكون الدم وجودًا لعجز الكائن عن
 تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهي معدومٌ بقي
 الوجه الآخر وهو أنه كونه مُكوّنٌ ومن الدليل على
 حدث العالم أنه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا
 حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنه لا قديم
 ولا حادث لمشاهدتنا إياه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا
 لاستحالة اجتماع الضدين بقي القول بالقديم والحادث والدعوى
 يتساوى فيه لأنه ليس قول من زعم أن العلم كان أولى من
 قول من زعم بأنه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لم يكن
 بأسعد من قول من قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل
 الحادث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد الملحد أن
 يارضك في قولك بالقديم فطالبه بصفات القديم فإن
 أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقي الخلاف في التسمية وهذه مناظرة

جرت بين الموحّد والمحد من أوضح المسائل وأنفعها لا بُدَّ لكلّ
مُسلم من تحفظها ، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث
العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر
لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة أو ساكنة أو
متحركة إلا في حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع
ولا يفرق المفرق بالافتراق وكذلك التحرك والساكن
والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان
كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهي محدثة لأنّ ما لم يسبق
الحوادث ولم يتقدمها فحادث مثلها مثال ذلك أنّ فلاناً لو
قال أنّ عمرّوا لم يوجد قطّ في هذه الدار إلا وزيد معه ثم
قال وإنّما وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمرّوا إنّما أوجد
فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتّم الباقي الذى ليس
بمنتقض لا يخلو ممّا لا يبقى وينقضى ولا يوجد بعده متعرياً
منه فما أنكرتم أنّ القديم الذى لم يزل لا يخلو من حادث
ولا يوجد سابقاً له متعرياً منه قيل المعارضة فاسدة من قبل
أنّه ليس ممّا لا يبقى وينقضى عروضاً للحدث او المحدث وإنّما
عروض ذلك لم يبقَ وانقضى وذلك أنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتي به يستحق الحكم بأنه
منقضى غير باقٍ فلم يكن منكراً لان يقارن الباقي حتى لا يخلو
منه اذ لم يسبق الوصف المضاد لوصفه وقولك قد حدث حكم
قد وجب له في وقته لا ينتظر وجوبه في وقت فاستحال
أن يقارن القديم حتى لا يكون [٢٥ ٧٩] القديم سابقاً له فإن
قل فواجبوا أن يكون الباقي متغرياً ممن لم يبق وانقضى كما
أوجبتم أن يكون القديم سابقاً للمحدثات موجوداً قبلها قبل
ذلك يفعل وهو الواجب كما أنه سابق للحوادث فكذلك
يجب أن يكون باقياً متأخراً عنها ومتى ما لم يكن كذلك
لم يكن باقياً كما أنه لو لم يسبقها لم يكن قديماً فإن قال اذا
زعمتم أن المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون
المقارن للحوادث أمس حادثاً أمس قيل لأننا نقول أن الذى
يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها
فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجوداً
قبله فلذلك لم يجب أن يكون حادثاً معه وهذه يؤكد
ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس
حادثاً أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بإطلاق حادثاً بالإطلاق فلن قيل أليس لم نشاهد والاجسام
مقارنة لحوادث إلا وقد كانت موجودة قبلها مقارنة لحوادث
غيرها فهلا زعمتم أن ذلك سبيلها وأنها لم تنزل كذلك قبل
هذا غير واجب لأننا وإن كنّا حكمنا بأن الأجسام التي
شاهدناها كانت متقدمة للحوادث المقارنة لها مقارنة لغيرها
فلم نحكم بذلك من طريق الوجوب ولا لأنّ الجسم إنّما كان
جسمًا موجودًا لأنّه لا بُدّ من أن يكون متقدمًا للحوادث
المقارنة لها مقارنة لغيره لأنّ هذا حدّ الجسم وحقيقته بل
إنّما حكمنا بذلك لأنّنا لم نشاهد جسمًا حدث في وقت
مشاهدتنا له ولأنّه صحّ عندنا بالخبر والدليل أن هذه
الأجسام التي شاهدناها قد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحّ ان الجسم لا يخلو من حادث ولو أنّا شاهدنا جسمًا في
وقت لم نشاهده قبله ثمّ لم يَظْهَرْ لنا دليل على أنّه كان
موجودًا قبل تلك الحال ولا خبر صادق بذلك لما حكمنا
بأنّه قد كان موجودًا قبل الحوادث المقارنة له مقارنة
لغيرها بل كنّا نخبر^٢ ذلك ونخبر^٣ ان لا يكون سبق ما

١ Ms. احد.

٢ Ms. نحر.

٣ Ms. نحر.

هو موجود معه منها، فإن قيل وَلِمَ جَوِزَ هذا وهَلَّا قُضِيَ
على كلِّ جسم غاب أو حضر وَرَدَ فيه خبراً ولم يردَّ قام على
تقدّمه دليل أو لم يثُمَّ بمثل^١ ما شاهدتم عليه هذه الأجسام
وقُضِيَ بها عليها من تقدّمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها^٢
لغيرها وإلّا فكيف تزعمون^٣ انكم تقضون بالشاهد على الغائب
قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنّه
ليس يجب إذا شاهدنا جسماً على صفة من الصفات أن تقضى
كلّ جسم غاب عنا كذلك إنّما يجب إذا شاهدناه على صفة
ما أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الذى هو حدّه
وحقيقته أم لا فإن كان كذلك قضينا على كلّ جسم
غاب عنا بحكمه وإلّا فلا كما قلتم أن لا جسم فى الشاهد إلّا
مركباً من الطبايع الأربع ولا مركباً من الطبايع إلّا جسماً ثم قلتم
بأن الافلاك من طبيعة خامسة وله يشاهدوا ذلك فكذلك
إذا لم نر إنساناً إلّا أبيض لم يجب القضاء بأنّ كلّ إنسان

^١ مثل. Ms.

^٢ مقارنتها. Ms.

^٣ يزعمون. Ms.

أبيض أو لم تَر دُمَانًا إِلَّا حُلَا لم يلزم أن لا يكون دُمَان إِلَّا حُلَا وكذلك اذا لم تَر جسمًا مقارنًا لحادث إِلَّا وقد كان عندنا متقدمًا له مقارنًا لحادث غيره فلم يكن جسمًا لآئه كذلك ولا ذلك حدّه بل حدّه أن يكون طويلًا عريضًا عميقًا فلما لم يكن جسمًا لآئه يسبق الحوادث فيوجد مع غيرها لم يجب أن يكون ذلك [٢٨ ٢٩] حال كلّ جسم في كلّ وقت وهذا أيضًا جواب قولهم إذا لم يَرُوا أرضًا إِلَّا ومن ورائها أرض ولا بيضة إِلَّا من دجاجة ولا دجاجة إِلَّا من بيضة فكيف قضيت بخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حدّ البيضة أن تكون من الدجاجة ولا حدّ الدجاجة أن تكون من البيضة وإنما الدلائل قامت على حدوثها فإن قال ولمّ زعمتم أن الجواهر لا تخلو من أن تكون مجتمعة أو متفرقة قيل هذا من أوائل العلوم التي تُعرف بالبديهة ولا يعترض عليها بالشبه فإن قال ما الدليل على المجتمع اجتماعًا به كان مجتمعًا والمفترق افتراقًا دون أن يكون مفترقًا ومجتمعًا بنفسه قيل لو كان مجتمعًا بنفسه لما جاز وجوده مفترقًا ما دام نفسه موجودة وكذلك المفترق فدلّ أن المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق
مُحدَثان قيل الدليل على ذلك أنا نقصد الجسم المجتمع مفترقة
فيُوجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان
موجودًا فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فإن كان موجودًا
فيه فقد كان مجتمعًا مفترقًا وهذا محال فثبت أنه حدث عند
الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كامنين في
الجسم فإن قال ما انكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات
لا نهاية لها وأنه لا اجتماع إلا وقبلة اجتماع ولا افتراق إلا
وقبلة افتراق قيل هذا فاسد لأنه لو كان كذلك لما جاز
أن يوجد واحدٌ منهما كما أن قاصدًا لو قصد إلى جماعة فقال
لا يدخلن هذا البيت أحدٌ منكم حتى يدخله قبله آخر ما جاز
أن يوجد واحدٌ منهم في ذلك البيت ولو وجد كان في ذلك
انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع
والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا
مُجتمعين أو مفترقين باجتماع وافتراق هما أو غيرهما فإن
كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحال وجود الافتراق فيهما ما
دامت أعيانها قائمة وإن كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع إلى ما لا نهاية له ولا غاية وكل ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما في الحال منه وهذه مسألة جارية منذ قديم الزمان ولقد رأيت أهل النظر يتحَمَّون أمرها ويرفضون من شأنها ووجدتها في عدة كتب بالفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتم من قول أبي القاسم الكمي في كتاب أوائل الأدلة فانبت بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر أحدث جملة واحدة وضربة واحدة أم شيئاً بعد شيء لأن ذلك كله مجوز في العقل فإن أوجد كما هو فابتدأه حدوثه وإن أوجد منه شيء بعد شيء فابتدأه ما أوجد منه وليس ذلك إلى العقل فيُتمد ولكن سبيله السمع والخبر والناس مختلفون فيه القدماء ومَن بعدهم من أهل الكتاب والمسلمون وأنا ذاكر من ذلك ما رُوي ومُرجح ما وافق الحق إن شاء الله عز وجل،

القول في ابتداء الخلق قرأت في كتاب منسوب إلى رجل من القدماء يقال له افلوطرخس^١ ذكر فيه اختلاف

^١ افلوطرخس. Ms.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الآراء الطبيعية حُكي عن تاليس الملى^١ أنه كان يرى مبدأ الموجودات الماء منه بدأ وإليه ينحلّ وإنما دعاه الى توهم [fo 28 v] هذا الرأي أنه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرطب الذى هو المني فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشياء من الرطوبة ومتى ما عدت الرطوبة جّت وبطلت وحُكي ان فيثاغورس من أهل شاميا وهو أول ما سقى الفلسفة بهذا الاسم وتاليس أول من ابتدا الفلسفة أنه كان يرى المبادئ هي الأعداد المتعادللات وكان يسميها تأليفات وهندسيات ويستى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية لاحدّهما فى المبادئ ويرى أن أحد هذه المبادئ هي الملة الفاعلة الخاصة^٢ وهي الله عز وجل والثانى العقل والثالث العنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك بحسّ البصر وأن طبيعة العدد تنتهى^٣ الى العشرة واذا بلغها

^١ Ms. الملى.

^٢ Indication marginale : فى الاصل الخاصه.

^٣ Ms. ينتهى.

رجع الى الواحد وأن العشرة بالقوة في الأربعة وذلك اذا
اجتمعت الأعداد من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة
وقد ذكر ابن رزاق هذا الفصل في كتاب النقض على
الباطنية قال افلوطرخس وكذلك كان الفيثاغوريون^١ يقولون
في الاربعة قسماً عظيماً ويأتون في ذلك بشهادة الشعر إذ يقولون
لا وحق الرباعية التي تدبر أنفسنا التي هي أصل لكل طبيعة
التي تسيل دائماً كذلك النفس التي فيها مركبة من أربعة
اشياء وهي العقل والعلم والرأى والحواس ومنها تكون كل
صناعة وكل مهنة وبها كنا نحس أنفسنا فالعقل هو الواحدة
وذلك أن العقل أبداً يجري وحده وأما الثانية التي ليست بمحمودة
فالعلم وذلك ان كل برهان وكل اقناع فنه وأما الثالثة فالرأى
لأن الرأى لجماعة والرابسة الحواس وحكى عن رافليطس أنه
كان يرى مبدأ كل شئ النار واليها انتهأؤها وإذا انطلقت النار
يشكل به العالم وأول ذلك أن الغليظ منه إذا تكاثف واجتمع
بعضه الى بعض صار أرضاً وإذا تحلّت الارض وتفرقت أجزاؤها
بالنار صارت ماءً والنار يحلّل الأجسام ويثيرها وحكى عن

^١ الفيثاغوريون Ms.

انهمس انه كان يرى الهوآ أول الموجودات منه كان الكل
 وإليه ينحل الموجودات مثل النفس التي فينا وإن الهوآ هو
 الذى يحفظ فينا الروح والهوآ يُسكان العالم كله والروح والهوآ
 يقالان جميعاً لأن على معنى واحد قولاً متواطئاً وحكى عن
 فيثاغورس^١ أنه كان يرى أن مبداء الموجودات هو التشابه
 الأجزاء وأن الكائنات يكون بالقدآ الذى تغذى به ومن
 هذه الكائنات يكون معنى التشابه الأجزاء وعنده أن الاشياء^٢
 يدرك بالقل لا بالحوس وهى أجزاء القدآ وإنما سميت متشابهة
 الأجزاء من أجل أن هذه الأعضآ المكوّنة من القدآ متشابهة
 بعضها يشبه بعضاً فسميت متشابهة الأجزاء وجعلها مبادئ
 الموجودات وصير التشابه الأجزاء عنصراً وحكى عن ارسلاوس
 أنه يرى مبدأ العالم ما لانهاية له وقد يترض فيه التكاثف
 والتخلخل فنه ما يصير ماءً ومنه يصير ناراً وحكى عن اسقورس
 أنه كان يرى الموجودات أجساماً مدركة عقولاً لا خلاء فيها
 ولاكون سرمدية غير فاسدة لا يحتمل التكرّر والتهشم

١ Ms. انفساغورس.

٢ Ms. الاسياء.

ولا يفترض في أجزائها خلاف ولا استحالة وهي مدركة بالقل
لا بالحواس وهي لا يتجزأ وليس معنى قوله لا يتجزأ أنها في غاية
الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالة وحكى عن
اثناقليس أنه [٢٧٢] لا يرى الاسطقات الأربع التي هي الماء
والنار والهواء والأرض وأن المبدأ مبدآن^١ وهما المحبة والغلبة
واحدما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقة وحكى عن
سقراط بن سقريس وافلاطون بن أرسطو الإلهي أنها بيان
المبادئ الثلاثة^٢ الله والعنصر والصورة زعم المفسرون أن معنى
قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الأول
للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم في التخيلات
وحكى عن ارسطاطاليس بن توماجس صاحب المنطق
أنه يرى المبادئ الصورة والعنصر والعدم والاسطقات الأربع
وجسم خامس هو الأمر غير المستحيل وحكى عن دنوهرماوس
أنه يرى المبادئ هي الله تعالى وهي العلة الفاعلة
والعنصر المنفعل والاسطقات الأربع فهذا جملة ما حكاها

^١ مبديان Ms.

^٢ ثلاثة Ms.

افلوطرخس^١ من أقاويل الفلاسفة في المبادئ وزعم ايوب
الرهاوى في كتاب التفسير أن المبادئ هي العناصر المفردة يعنى
الحر والبرد والبلّة واليبس فكوّنت النار من تركيب الحرّ مع
اليبس وكوّن الهواء من تركيب البرد مع البلّة وكوّن الماء من
تركيب البرد مع البلّة وكوّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس
فصارت هذه العناصر المركبة ثم كوّن من تركيب هذه العناصر
المركبة الحيوان والنبات،

ذكر ما حكى اهل الاسلام عنهم ، حكى زرقان في كتاب
المقالات أن ارسطاطاليس قال هيولى قديم وقوة معه لم يزل
وجوهر قابل للأعراض وأنّ الهيولى حرّك القوة فحدث البرد
ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلها الجوهر قال وشبهه إحداث^٢
الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل
له والفعل عَرَض وهو غير الانسان فكذلك الهيولى أحدث
اعراضاً هي غيره ولا يقال كيف أحدثها كما لا يقال كيف حدثت
هذه الحركة من الانسان وحكى [عن] جالينوس أنّه قال

^١ Ms. افلوطرخس .

^٢ Ms. بإحداث .

بأربع طبائع لم ينفك العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
 بأربع طبائع وخامس معها خلافا لولا هو لما كان للطبائع ائتلاف
 على تضادها قال وقال هرمس^١ بمثل مقالة هؤلاء فثبت
 العالم ساكنا ثم تحرك والحركة معنى وهو زوال وانتقال والسكون
 ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعوراء العالم قديم وله مدبر
 يدبره وهو خلافه من جميع الماني واثبت الحركات فقال ان
 الحركة الأولى هي الثانية معاودة لأن من قوله أن الحركة مع
 اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاضطراب
 بمثل مقالة بلعم إلا أنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركا بحركات
 لا نهاية لها وأنكروا أن يكون الحركة لها أول وآخر لأنها ليست
 بمحدثة قال وقال أصحاب الجثة أن العالم لم يزل مصورا قديما
 جثة مضمة فانتقلت الجثة وكان الخلق كامنا فيها فظهر على
 نحو ما يظهر في النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
 الجوهرة أن العالم جوهرة قديمة وأحدية الذات وانما اختلفت
 على قدر التقاء^٢ الجوهرة وحركاتها فإذا كانا جزءين كانا حرا

^١ Ms. هرمس.

^٢ Ms. التقاء.

وإذا كان ثلاثة أجزاء صار برذا وإذا كانت أربعة صارت رطوبة
وزعم أن حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشئ مذاهب
هولاء كلهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات فطبقة
قالت [٢٧ ٢٠] بِقَدَمِ الطينة وَحَدَّثَ الصبغة وطبقة قالت يحدث
الطينة والصبغة وطبقة شكت فلم تدري أقديمة هي أم حديثة
لتكافئ الأدلة عندها وقد قال جالينوس وما على أن لم أدر
أقديمة هي أم حديثة وما حاجتى إلى ذلك في صناعة للطب ،
ذكر مقالات الثنوية والحرانية أصل اعتقاد هولاء في
الجملة أن المبدأ شيان اثنان نور وظلمة وأن النور كان في
أعلى الملو وأن الظلمة كانت أسفل السفل نورا خالصا وظلمة
خالصة غير مماسين على مثال الظل والشمس فامتزجا فكان
من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذى يجمع أصل عقائدهم
ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديسان ان النور خالق الخير
والظلمة خالقة الشر بعد قوله بأن النور حى حساس والظلمة
موات فكيف يصبح الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما
لحق المانوية والديسانية من التناقض والفساد أحدث
مذهبا زعم أن الكونين النورى والظلامى قديمان ومعهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافا وخارجا عن خارجها وهو الذى حمل
الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المُعْدِلُ بينهما لما
كان من جوهرهما إلا التباين والتشافر وزعم كُثَّان أن أصل
القديم ثلاثة أشياء الأرض والماء والنار غير أن المدبر لها اثنان
خير وشر، وأما الحرّائيّة فمختلف عندهم فى الحكاية زعم احمد
ابن الطيّب فى رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أن القوم يُجمعون
على أن للعالم علّة لم يزل ويقولون المدبرات سبع واثنا عشر ويقولون
فى الميولى والدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوّة
بقول ارسطاطاليس فى كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنهم
يقولون مثل قول المائيّة وقال بعضهم أن مذهب الحرّائيّة ناموس
مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحد أن يُظهر خلافاً، وأما
المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترّهات متجاوزة
الحّد والمقدار لا يكاد يوقف عليها فبعضهم يقول بقول الشنوية
وبعضهم على مذهب الحرّائيّة والخُرْمِيّة جنس منهم يتسترون
بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وأنه نسخ بعضه فاستحال ظلمة
وأما اهل الصين فعامتهم الشنوية إلى كثير ممّن يليهم من التُّرك
وفيه المِطْلَة الذين يقولون بقدّم الأعيان وأنّ العالم لا صانع

له ولا مدبّر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمينية
 والمعطلة الأخرى يقولون بالتوحيد غير أنهم يُبطلون الرسالة
 ومنهم المهادرزية يزعمون أن المبدأ ثلاثة اخوة أحدهم مهادرز
 فاحتل اخواه في المكر به فعثرت به دابته فسقط ميتاً فسلخوا
 جلده وبسطاه على وجه العالم فصار من جلده هذه الأرض
 ومن عظامه الجبال ومن دماغه الأودية والأنهار ومن شعره
 الأشجار والنبات هذا ما بلغنا من مذاهب سُكّان الأرض
 والقدماء في هذا الباب وقد أشرنا إلى فساد مذهبيهم ومذهب
 مَنْ يقول بقدم العالم أو شيء مع الله تعالى بما فيه كفاية وغُنية
 وهذه الحكايات كلّها ان لم يكن شيء منها زُمرّاً أو الفاذاً أو
 تمثيلاً أو روايةً عن كتاب من كتب الله عزّ وجلّ أو رسول
 من رُسل الله أو بوفاق ما جاء منهم أو بشهادة العقول قاطبةً
 فردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضمحها وتزوير مبتدعها
 وليس في كثرة التردّد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّت نفسك
 على تحفظ مسألة إحداث العالم استغنيت عن كثرة الخوض في
 الفروع التي بُنيَتْ على أصل القدم [م 28 م] لأنّه إذا وهى
 البناء وضُف لم يَثْبُت فروعه ولا قامت أركانه،

ذكر مقالات أهل الكتاب في هذا الباب ، قرأت في كتاب
 موسوم بشرائع اليهود أن جماعة من علمائهم نهوا عن التفحص
 عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا أنه لا ينبغي للانسان أن
 يبحث عما يتعجب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم أن الشيء الذي
 خلقه الله تعالى في الابتداء سبعة عشر شيئاً خلقها الله بلا نطق
 ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهي المكان والزمان
 والريح والهواء والنار والماء والارض والظلمة والنور والعرش
 والسموات وروح القدس والجنة وجنهم وصور جميع الخلائق
 والحكمة قال ومخلوقه ذو جهات ست وهو محصور بين
 هذه الجهات التي هي الأمام والخلف والعلو والسفل واليمين
 والشمال وزعم بعضهم أن أول ما خلق الله سبعة وعشرون شيئاً
 فذكر هذه السبعة عشر وأضاف إليها كلام موسى الذي سمعه
 وجميع ما رآه الانبياء والمن والسلوى والنعيم والعين التي
 ظهرت لبني اسرائيل والشياطين واللباس الذي ألبس آدم
 وحواً وكلام الجبار الذي كلم به بلعام هكذا الحكاية
 عنهم والمسطور في أول سفر من التورية بالبرائية * برشت مارا
 اليوهيم اث هشومائم وات هو اورس وهو اورس هو نو توهم

وحوش على هي تهوم* يقول أول شيء خلقه السماء والأرض
 وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على النمر وريح الله ينف
 على وجه الأرض كذا فسره المفسرون فلا أدري كيف خالفته
 الحكاية عنهم ضمن التورية ولعل ما ذكره في بعض أسفارهم
 لأن التورية مشتملة على عدة كتب من كتب الأنبياء والله اعلم
 وأما النصارى فدينهم في هذا دين اليهود لأنهم يقرّون التورية
 ويقرّون بما فيها والصابئون محرون في مذهبهم فأكثر الناس
 على أن دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك
 فقولهم قولهم وحكي زرقان أن الصابئين يقولون بالنور والظلمة
 على نحو ما يقوله المانوية والله اعلم،

ذكر قول أهل الاسلام في المبادئ وما جاء من الروايات فيها،
 حدثنا الحسن ابن هشام ببليد قال حدثني ابراهيم بن عبد الله
 القسبي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي طبيان عن ابن عباس
 رضى الله عنه قال أول ما خلق الله من شيء القلم قال اكتب
 فقال اى ربى وما اكتب قال القدر فجرى القلم بما هو كائن من
 ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثم خلق النون فدحا الأرض
 عليها فارفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فارت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال تنفجر على الأرض
الى يوم القيامة وحدثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزي بمرور حدثنا
السراج محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعد حدثنا خالد بن
عبد الله بن عطاء عن ابي الضحا عن ابن عباس رضى الله عنه
قال أول شيء خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له اكتب
ما يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
يقول الله تعالى نون والقلم وما يسطرون وحدثني محمد بن
سهل باسوار حدثنا ابو بكر بن زيان حدثنا دعه عيسى بن
حماد [٢٨ ٢٩] عن الليث بن سعد عن ابي هانئ عن ابي عبد
الرحمن البجلي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنه
قال كتب الله قادر كل شيء قبل أن خلق السموات والأرض
بخمسين ألف عام وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضى
الله عنه فروى عنه أول ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
حُبيرة أول ما خلق الله العرش والكرسي وروى أول ما خلق الله
النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كله عن الحسن أنه قال
أول ما خلق من شيء العقل وروى عنه أول ما خلق الله

الأرواح وفي رواية أبي الوليد عن أبي عوانه عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وُخلقت الأرض من الماء وحدثني حاتم بن السندی بتكرير حدثنا أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم كما وصف لكم وأما حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن عطا عن وكيع بن حرس عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض قال كان في عمامة ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء فإنه إن صحّ وصحّ تأويل من تأول العمامة السحاب والعمامة دلّ أن خلق النعمان المذكور في الخبر والقرآن كان قبل خلق السموات والأرض وقد روى أن النبي صلعم قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام^١ ووضعه على العرش فإن صحّت الرواية دلّ أن خلق العرش كان قبل سائر الخلق وفي كتاب أبي حذيفة عن حبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي

^١ سبقت رجمتي غضبي . Interpolation dans le ms. :

الله عنه أن الله لما أراد أن يخلق الماء خلق من النور يا قوتة
 خضراء ووصف في طولها وعرضها وسماها ما الله به عليم قال
 فلحظها الجبار لحظة فصارت ماء يترقق لا يثبت في ضحضاح
 ولا غير ضحضاح يعتمد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع الماء
 على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن الماء فذلك
 قوله تعالى وكان عرشه على الماء وروى عبد الرزاق عن معمر
 عن الأعمش عن ابن حُبَيْر قال سألت ابن عباس رضى الله
 عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء فعلام كان الماء قبل
 أن يخلق شيئا قال على متن الريح فإن صحت الرواية عن
 الضحاك دل أن النون قبل خلق الماء وأما محمد بن اسحق
 فبأنه يقول في كتابه وهو أول كتاب عمل في بدء الخلق
لقول الله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة
أيام وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى
 إذ ليس إلا الماء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والمزة
 والسلطان فكان أول ما خلق النور والظلمة ميز بينهما فجعل
 الظلمة ليلا أسود مظلما وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا ثم سلك
 السموات السبع من دخان الماء حتى استقلن ثم دعا الأرض

وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات ثم استوى الى السماء وهي
دخان ، لا يختلف أحد من المسلمين ومن يدين الله بالكتاب
والرسالة ان ما دون الله تعالى مخلوق مُحدث وإن لم يذكر
خلقه وإحداثه وإنما مرادنا أن نعرف أول ما خلق الله منه إن
كان ذلك ممكنًا منه اختلف الرواة عن وهب بن منبه وغيره
من منى [٢٩ ٢٨ ٢٩] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام أنه
قال خلق الله نورًا وخلق من ذلك النور ظلمة وخلق من
تلك الظلمة نورًا وخلق من ذلك النور ماءً يخلق من
ذلك الماء الأشياء كلها وعن وهب بن منبه قال وجدت
فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلم أن الله لما أراد
خَلْقَ الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهواء ثم خلق
من الهواء النور والظلمة ثم خلق من النور الماء ثم خلق النار
والريح وكان عرشه على الماء وسمتُ بعض الشيعة يزعمون أن
أول ما خلق الله نور محمد وعلي ويروون فيه رواية والله اعلم
بحقها وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله
منهم بدين الانبياء في أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

فنه قول عدى بن زيد المبادى وكان نصرانياً يقرأ
الكتب [بسيط]

اسمع حديثاً لكى يوماً تجاوبه عن ظهريب إذا ما سائلُ سألَا
ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الأولى
كانت بياحاً ومآلاً ذا عُرانية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللاً
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سوءاً مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصيراً لاخفاءً به بين النهار وبين الليل قد فضلا
قضى لثة أيام خلانقه وكان آخر شيء صور الرجال

وقد حكى الفرس عن علماء دينهم وموبذيههم أول ما خلق الله
السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان ،

ذكر تصويب أرجح المذاهب ، أقول ان رأى من رأى تقديم
أحد الأركان على غيره هو مُحْتَلّ وإِلاّ لأنهم يختلفون فى الاستحالة
والفساد وكيف يبيح على رأى تاليس الماء وهو عنده مستحيل
من الأرض وعلى رأى براقليطس^٢ النار وهى مستحيلة عنده

^١ Ms. يقدم .

^٢ Ms. براطيطس .

من الهواء. وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولد حيوان أو تركب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع فيها لأن ما تفرّد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعية أو من زعم بابتداء البسائط ثم العناصر المركبة فبأنه يخش قوله لأن البسائط أعراض لا تقوم بذواتها ولا بدّ لها من حامل فكيف يصحّ وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة لانهما عرضان لا جسمان والأصحّ على مذهب هؤلاء ما رأى اثنادقليس من تقدّم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضاً فإن كانت أعراضاً فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجساماً وحدّ الجسم ما ذكرناه واثرا لحدث مقارن له أو يكون لا أجساماً ولا اعراضاً فهذا غير معقول عند المسلمين إلاّ الباري جلّ جلاله فأنه خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [٢٩ ٣٠] اجساماً ولا أعراضاً عندهم فلا بدّ أن يكون هو الهيولى الموهوم في مذهبه وهذا شيء لو كان موهوماً لما جاز وقوع الاختلاف فيه إلاّ من معاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف في المعقول إلاّ من معاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حدّ له ولا صفة من

لَوْنَ أَوْ مَقْدَلًا أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْمَحْسُوسَةِ وَجُمْلَةً هَذَا الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مِرَاعَاةَ اثَرِ الْحَدَثِ فِيمَا سِوَى الْبَارِئِ جَلَّ جَلَالُهُ فَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ مَا كَانَ مُحَدَّثًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ابْتِدَاءٍ وَإِذَا كَانَ لَا يَقُولُ بِحَدَثِ الْعَالَمِ إِلَّا الْمَوْحِدُونَ لَمْ يَوْجِدْ ابْتِدَاءَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ وَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ عُلَمَائِهِمْ فِي الظَّاهِرِ وَمُتَّفَقُونَ فِي الْمَنَى إِذَا انْصَمَوْا النَّظَرَ فَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَمَا حُكِيَ عَنْهُمْ فَحَتَمَلْ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقَطْعُ بِهِ مَا لَمْ يَصْدَقْهُ كِتَابُنَا أَوْ خَبَرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَلَا أَنَّهُ خِلَافُ مَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ التَّوْرَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ فَالَّذِي يُوْجِبُهُ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ مَكَانٌ كُلٌّ مُمْكِنٌ سَابِقٌ لَهُ وَإِنْ لَا يَحِلُّ حَرَكَةٌ إِلَّا فِي جِسْمٍ وَلَا يَوْجِدُ إِلَّا فِي زَمَانٍ وَإِنْ لَا يَصِحُّ فَعَلٌ اخْتِيَارٍ وَتَدْبِيرٍ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالَمٍ وَإِنْ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ وَأَنَّ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَ سَابِقَةَ لِلْأَجْسَامِ فَمَنْ قَالَ بِقَدَمِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْمُخَالِفِينَ وَنَقَضَتْ عَلَيْهِ آثَارَ الْحَدَثِ فِيهَا وَمَذْهَبُهُ وَمَنْ قَالَ بِحَدَّثِهَا فَمَا حَاجَتُهُ إِلَى تَقْدِيمِ مَا قَدَّمَ مِنْهَا وَقَدْ أَقْرَبَ بِأَنَّ اللَّهَ أَحْدَثَ الزَّمَانَ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَالْمَكَانَ فِي غَيْرِ مَكَانٍ وَالْأَرْكَانَ مِنْ غَيْرِ أَرْكَانٍ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُعْمَدَ فِيهِ شَيْءٌ

من كتب الله فليس يجد في كتاب أول ما خلق ما هو فيقضى على ما خالفه بالرد والإنكار ولا بُدَّ لكلِّ حادث من غاية ينتهي إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الاسبوع والاسبوع من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من الدهر فقد انتهى الى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلاً نسب رسول الله صلعم الى آدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر الاشياء الحادثة لا بُدَّ لها من غاية هذا ما يباينه ويشاهده فلذلك وضنا ما رويانا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال فقد ذهب بعض أهل الاسلام الى أن أول ما أحدث الزمن العلويّ وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السفليّ الذي هو من حركات الفلك ثم المكان الذي هو غير متجزئ ولا متماسك وهو فضاءً وبسيط ذاهب خلاً مُحيط بالعالم قال وليس الهواء من الفضاء في شيء لأنّ الهواء جسم متجزئ ومنتشر وليس الخلاء بمتجزئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزئ انّ الخلاء لا يدخل العالم منه شيء الا يتخلله بثةً والهواء ما بين السماء والأرض ولا يخلو منه شيء والخلاء ما فيه السماء والأرض

والهواء ثم الأجسام بأعراضها كذا رأيت في بعض كتبهم
والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما
دون الله مخلوق نعم سؤالك عن العالم العلوي أم العالم السفلي
أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية [p 30 r] لأن كل
شيء من هذه الأشياء ابتداء منه ابتداء ونشؤ فإن قيل هل
غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي، والملائكة
واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تعد من
الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان
والصُور والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من
الأمّة ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُعد من الدنيا
ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فلوله الآخرة
والأولى ولم يذكر شيئاً غيرهما قيل ولم يذكر الأشياء
غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه لله الحكم في
الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلعم ما بعد الموت
مستعقب ولا بعد الدنيا إلا الجنة والنار لأنه لا شيء غيرهما
. وإنما يصح هذا إذا عرفت الدنيا والآخرة ما هما على أنه لا عتب

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه
 بعد أن اعتقدها كما جاءت به كتب الله وينبغي
 أن يعلم أنّ كلما دون الدنيا روحاني حيواني خلق للبقاء
 والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والدثور بقول
الله تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون،
 ذكر أول ما خلق في العالم العلوى من الحيوانات يدلّ
 على أنّ أول ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية
 أبى ظبيان عن ابن عباس ثم العرش والكرسى على رواية
 مجاهد وقد قال قائل أنّ أول ما خلق الروح والعقل
 على رواية الحسن لأنّ فى رواية ابن عباس انه قال
 للقلم اكتب فقال اى ربّ وما اكتب والأمر فى
 الحقيقة والجواب لا يصحّ إلا من حقّ عاقل قال ثم الحجب
 ومنها النعام والنور والملائكة ثم الرحمة والعذاب ينى الجنة
 والنار والصراط والميزان وغير ذلك ممّا ذكر وأول ما
 خلق فى العالم السفلى من الحيوانات الماء والهواء كما
 قال مجاهد وخلقت الأرض من الماء فهذه أركان العالم
 ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوى

والنور السفلى بأن هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع
اختلافهم في الروح أجسم هو أم غير جسم وسيمرّ بك في
بابه مشروحاً مفسّراً ان شاء الله عزّوجلّ فاذا سألت سائل
مِمَّ خُلِقَ الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فمن أى جزء
من اجزاء الخلق سؤالك ولن يجاب حتى يشير الى ما
أردنا فإن سألت عن الأرض قيل من زبد الماء كما جاء
في الحديث والخبر وان سألت سائل عن السماء قيل من
دخان الماء وان سألت عن الكواكب قيل من ضوء النهار
وان سألت عن الأركان المركبة قيل من البسائط المفردات
وان سألت عن البسائط قيل يمكن أن يكون خُلقت مما
خُلِقَ قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شيء لانّا نرى الله
يخلق الشيء من الشيء ويخلق من لا شيء وقد دللنا على أن
لا شيء غير الله تعالى إلا مخلوق وانّ الله ابتدعه بديناً
لا من شيء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه
بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كلّ
دابة من ماء وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجنّ من مادج

من نار مع سائر ما وصفت أنه خلقه من خلق خلقه قبله
 [٣٨٠ ٣] وكذلك يفعل الشيء بسبب ويفعله بلا سبب موجب
قال الله تعالى وانزل من السماء ماءً فاخرج به من
الثمار رزقاً لكم فأخبر عزّ رجل أنه جعل سبب
 اخراج الثمر والنبات إنزال الماء وكذلك جعل سبب
 كون الانسان النطفة وسائر ما يوجد ويحدثه وقد
 أوجد أمهات هذه الاسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته
 وحكمته وان سأل سائل فيم خلق قيل فيم سؤال عن
 المكان ولا مكان ألا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت
 الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال
 القائل أن العالم لا في مكان لكان قولاً لا لأنه ليس بأعجب
 من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل
 أنه في خلافة وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه
 مكان لبعض وفي كتاب وهب بن منبه ان السموات والجنة
 والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كآها في جوف الكرسي
 فإن صحت الرواية كان الكرسي مكاناً لهذه الأشياء والله
 اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيف سؤال يقتضى التشبيه فى الجواب وليس نعلم العالم مثلاً غيره فنشبهه به ولكننا مشاهدين له عند احداثه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفية منتفية عن فعله كما هى منتفية عنه سبحانه فإن اردت كيف أوجده من عدم فكيف تراه اجساماً وجواهر حاملة للأعراض قال له كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردت شكلاً وهينة لفعله فهذه من حالات الأعراض التى تتعاقب على المخلوقين فإن سأل سائل متى خلق قيل متى سؤال عن المدة والوقت من الزمان والمدة عندنا من حركات الفلك ومدى ما بين الأفعال وقد قامت الدلالة على حدث الفلك ولا يُطلق المسلمون القول بأن الله تعالى لم يزل يفعل لأن ذلك يوجب ازالة الخلق ويؤدى الى قول من يرى الملول مع العلة حتى يكون بين فعل سابق له الى ان فعل العالم مدة وقد زعم بعض الناس أنه أحدث زماناً أوجد فيه العالم كمن قال إنه أحدث مكاناً أوجد فيه العالم فقال قوم الزمان ليس بشئ وإن سأل سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤال عن العلة الموجبة للفعل وفاعل ذلك مضطر غير مختار والمضطر مقهور مطلوب ولا يجوز ذلك فى

صفة القديم فإن اردت بالآلة الفرض المقصود في الخلق فهو
ما ذكرناه في أول هذا الفصل انه خلق الخلق لرأفته
ورحمته وجوده وقدرته لينفعهم وليأكلوا من رزقه وليتقلبوا
في نعمته ويستحقوا شرف الثواب بطاعته ،

الفصل السادس

في ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسى والملائكة والصُور
والصراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب
والحُجُب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ
من أمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى في محكم كتابه ن والقلم وما
يسطرون وقال في كتاب مكنون لا يمسّه الا المطهرون وقال
وكلّ شئ [f 81 r] احصيناه في امام مبین وقال ما فرطنا في
الكتاب من شئ وقال في لوح محفوظ قال أكثر المفسرين
انه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد
وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة
واسطةً بينه وبين رُسُلِهِ ورسَلَهُ واسطةً بينه وبين خلقه
وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النص من الكتاب والسنة فإن خطر خاطر بأنه آية
فائدة في اللوح والقلم فليقل له بأن أسرار حكمة الله عز وجل
عن العباد محجوبة إلا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس
إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عز وجل يحيو الله ما
يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب واعلم ان الكلام في هذا
الفصل مع من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لأن هذا
سبيله سبيل الخير والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبة قد
تلقوه بالقبول وقد قال قائل أن الله تبارك وتعالى لما أراد
ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم
به في اللوح وروى فيه اخبار مسطرة في كتب أهل الحديث
رضينا بما صح منها واستسلمنا له وجاء في ذلك القلم أن طوله
ما بين السماء والأرض وأنه خلق من نور وفي صفة اللوح
أنه لوح محفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب معقود بالعرش يصك ما بين عيني اسرافيل
وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد الله تبارك وتعالى
أن يحدث في خلقه شيئاً قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع
فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يحيو الله ما يشاء

ويثبت وعنده أم الكتاب فيأمر به جبرئيل أو من يليه من
 الملائكة وأكثر أهل الدين على أن الباري لا يُسَمَّ كما أنه
 لا يُلمَس وإنما يُسَمَّ كلامه كما يلمَس خلقه هذا قول أهل
 الإسلام وقد ذهب قوم من المستترين بالدين إلى تأويلات
 مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقل لأنه
 دون الباري جلّ وعزّ في الرتبة وجرى بنفسه لأن العقل يدرك
 الأشياء بغير واسطة قال ومعنى اللوح المحفوظ النفس لأنه
 دون العقل في الرتبة يدبرها العقل كما جرى القلم في اللوح
 المحفوظ وزعم أن القلم واللوح غير محدثين ولا مخلوقين وقد
 دللنا على حدّث العقل والنفس في الفصل الثاني بما يجري عليهما
 من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقل^١ والتجزّي بفرق
 الهياكل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة
 النفس إلى الغذاء والقوام ما فيه كفاية وبلاغ وذلك أن
 القديم الباري لا يجوز عليه شيء من هذه الموارض وزعم
 آخرون أن اللوح هو العالم السفلي والقلم العالم العلوي يؤثر في
 السفلي وبعضهم يزعم أن القلم هو الروح واللوح الجسد وأهون

الأمر انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة والدخول في الإلحاد المحض حتى يقع الكلام معهم من حيث ينبغي أن يقع لأن هذه الأشياء من شرائع الأنبياء عليهم السلام فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يرد تأويلها إلى العقل بل تسلم كما جاءت ، وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكلامه برّ [٢٠٨١: ٧٠] ينظر الله فيه كل يوم ثلاثانة وستين نظرة يُحيي بكل نظرة ويُميت بكل نظرة ويرفع ويضع ويُعزّز ويُذلّ ويمخلق ما يشاء ويحكم ما يريد والله اعلم واحكم وقد دللنا لك أن كل ما كان من أمر الآخرة فروحاني حيواني وإن شارك جسمانياً في الأسماء فمن ذلك قوله دُرّة بيضاء وياقوتة حمراء ،

ذكر العرش والكرسى وحمة العرش قال الله تبارك وتعالى وترى الملائكة حاقين من حول العرش وقال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فذكر العرش في غير موضع من كتابه وقال وسع كرسية السموات والارض فلم يحجز وقوع الاختلاف فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وإنما اختلفوا في

التأويل فقال بعضهم أن العرش شبه السرير واستدلوا على قولهم بقوله أَيُّكُمْ يَأْتِنِي بِرَشْهَا وبقوله ورفع أبويه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب إلى أنه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدلّ عليه قولُ أُمَيَّة بن أبي الصلت

[كامل]

شدّ القطوع على المطايا ربّنا كلُّ بنعماء الإله مقيدُ
فاصحنُ^١ وافترش الرحائل شرجعُ^٢ نفع على اثباجهن مؤصّد
بنصوص ياقوتٍ وكظأ برش هولٌ ونارٌ دونه تتوقّد^٣
فملا طُوالات القوائم فاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلصدُ

وقال أيضاً [خفيف]

مَجْدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
ذَلِكَ الْمُنَشَى الْحِجَارَةُ وَالْمَوْئَى وَأَحْيَاهُمْ وَكَانَ جَدِيرَا
بِالْبَنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَرْجَمًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ النَّاسِ سَ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةَ صُورَا

^١ Note marginale : كذا في الأصل .

^٢ Ms. يتوقّد .

وقال لبيد

[كامل]

لله نافلة الأجل الافضل وله العلى وليت كل مؤثّل
سوى فأغلق دون غرفة عرشه سبعا طباقا دون فرع المغيل

وقال كثير من المسلمين أن العرش شئ خلقه الله لمتنهي علم
عباده وتبّد الملائكة بتعظيمه والطواف حوله ومسئلته الحوائج
عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها
والصلوة^١ له اليها لا أن يكون ذلك مكانا له أو حاملا جلّ
وتبارك الباري أن يكون محمولا أو محدودا أو مُحاطا وبعضهم
يقول العرش المُلْك ويتأول قوله الرحمن على العرش استوى
قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

إذا ما بنو مروان ثلثَ عُروشهم وأودت كما أودت إِياد وجنيد

[٢٣ ٣٢ ٤١] وأما الكرسي فحاقّ مثل العرش وقد رُوينا عن الحسن
أنّه قال الكرسيّ هو العرش وجاء في بعض الروايات أن
الكرسيّ بين يدي العرش كدرة بأرض فلاة والسموات السبع -

والأرضون السبع وما فيها بحجب الكرسي كحاققة من خلق
الدرع في أرض فيحآ ومن المسلمين خَلَقَ كثير يذهبون إلى أن
الكرسي هو العلم واستدلوا بقوله تعالى وسع كرسيه السموات
والأرض قالوا معناه أحاط علمه بها وبما فيها والكراسي العلماء
وانشدوا بيتاً

تَحُفُّ بِهِم بِيضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ كُرَاسِي بِالْإِبْدَاتِ حِينَ تَنْوِبُ

وقد روى أصحاب الحديث أن الكرسي موضع القدمين
والله أعلم بصدقه وتأويله إن صحَّ لأنَّ مذهبنا تسليم ما
قَصُرَ عنه علمنا ، وأما حملة العرش الملائكة خَلِقُوا لذلك
فَيُوصَفُ من اقدارها واجسامها ما الله به عليم قالوا وهم
اليوم أربعة وجهٌ أحدهم على صورة وجه النسر والثاني كوجه
الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجل فإذا
كان يوم الْقِيَامَةِ ضُمَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْبَعَةٌ أُخْرَى بقول الله
سُبْحَانَهُ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ وفي رواية
أبي اسحق أن رسول الله صلعم أنشد قول أُمَيَّةَ بن أبي
الصلت

[كامل]

خس السرافيل الصّوّافى تحته لا واهنّ منهم ولا مُستوفدُ
دَجُلٌ وثوَدٌ تحت رِجلِ يمينه والنسرُ للأخرى وليثُ مرصدُ

فقال عليه السلام صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها
وقد يستدرج أهل الزينغ الاغمار من الاحداث بالاول والثاني
والثالث والرابع يبنون بالاول القلم وهو عندهم العقل وبالثاني
اللوح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك
المستقيم والضابط للأفلاك وبالرابع الكرسي وهو فلك البروج
عند بعضهم لأنّ النجمين مختلفون في هذا التقسيم والملائكة
الذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشياء عندهم
لم يزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالاول والثاني والثالث
لأنّ كلّها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من
عارضهم من المشبهة بأن العرش ممهد والكرسي مُستقرّ القدمين
مع وفاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبعده عن تأويل الزائنين
لأنّهم لم نجد شيئاً في كتب التّجيمين وأهل الطّبائع بأنهم سمّوا
العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمائها المشهورة
عند سامعيها ونموذ بالله من الخزلان والحرمان وسوء الاختيار
والعجز عن إتباع الحقّ،

في ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها، روى المسلمون أنَّ الملائكة خلقت من نور وذكر ابن اسحق أنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّ الله خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد في معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرين بأن ملائكة الرحمة خلقوا من نور وملائكة العذاب خلقوا من نار ولا نعلم أحداً ممن يدين الله بدين إلا وهو مُقرٌّ بالملائكة وإن كانوا مختلفين في قَدَمها وحدوثها وهيئاتها فنه قول أمية بن أبى الصلت

[كامل]

يتنابذه المتنصفون بسُجرة في ألف ألف من ملائك^١ يحشد
 [٢٥ ٨٢ ٣٠] رُسُلٌ يجوبون السماء بأمره لا ينظرون ثوَاءَ مَنْ يتقصّد
 فهم كأوب الرياح بينا أدبرت رجعت برادى وجهها لا تكرد
 حذّ منابهم على أكتافهم زفّ يزف بهم إذا ما استنجدوا
 وإذا تلاميذ الإله تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناح مُعْتَد
 نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا لا مُبْطِئ منهم ولا مُسْتَوْغَد

واختلف المسلمون في عدم البصر والحواس لهم فمن قائل أنَّ

١ ملائكة Ms.

البصر يفقدهم^١ للطافة أجسامهم واجزائهم لا لون لها البصر لا يدرك إلا ذا لون وكذلك قالوا أليس نحس بها وهى معنا حَفْظَةٌ علينا والهواء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنّا لا نُحِسُّ به حادثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيين الذين هم أطف وأطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إياهم فى كتابه بالغلظة والشدة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جاء من عظيم صفاتهم وعُظم أجسامهم وإن الملك كان يأقَى النبى صلعم وعلى آله فى صورة الرجل وكذلك سائر الانبياء انه غير منكر ان يُحدث الله تعالى فى الملك شيئاً ومعنى يُرى ويُشاهد إذا أراد ذلك كما يحدث فى الجو فيتركب وينعقد غمامٌ من أجزاء الهباء لا يدركها البصر ثم ينحلّ ويتفرّق حتى لا يُرى كما كان أولاً وكذلك حال الجنة والشیاطین وسائر الروحانيين من الخلق وايضاً فإن الملك سُمى هذا الاسم لدُؤوبه فى الطاعة وانقياده لما يُراد منه تخصيصاً وتفضيلاً فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافاً روحانياً وجسمانياً ونامياً وجامداً وقد جاء فى بعض الأخبار أن

^١ .تقدم Ms.

الرعد مَلَك والنار ملك والملائكة يسجدون جنودُ الله ورُسُلُه
 وسفراءُه واوليآؤه بقول الله عزَّ وجلَّ ولله جنود السموات
 والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود
 الله ألا ترى أنه لما بلغ معاوية أن الاشتراك قد أمر فسقى سمًّا
 في سويق وعسل قال ما أردتها على الفؤاد إن لله جنودًا
 من عسل وقيل الأرض ملك والسماء ملك حتى عدد أكثر
 أجسام العالم واحتجوا بقول الله عزَّ وجلَّ قالتا اتينا طائعين
 والقول هو الأول فإن كان جائزًا إطلاق اسم الملك على
 هذه الأشياء فيكون مجازًا لا حقيقةً ،

ذكر اختلاف الناس في الملائكة ما هي أما المسلمون وأهل
 الكتاب فيقولون هم خلق روحانيون كما ذكرناه آنفًا
 وكان مشركوا العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله وأنه
 صاهر الجن فولدت له قال الله تعالى وجعلوا الله شركاء الجن
 وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا وقالت
 الحرثية الملائكة النجوم وهي المدبرات للعالم وهو أحدث
 الباطنية فزعمت أنها سبعة واثنا عشرة وتأولت قوله عليها
 تسعة عشر والخرمية يُسمون رُسُلهم الذين يترددون فيما بينهم

ملائكة وأما المجوس فلا يُنكرون الملائكة وأنهم خلق
غائب عنهم ويسمونهم شتاسبندان في ملتهم الإقرار بهم
والتصديق وزعم قوم أن الملائكة هي النفوس الصافية وذلك
أن الإنسان إذا بالغ في الارتياض [٣٣ ٣٣] بمعرفة حقائق
الاشياء واجتهد في اقتناء الفضائل واختيار المحامد اتّصل بالعالم
العلويّ فصار عند مفارقة الهيكل عقلاً خالصاً ونفساً صافيةً
فيستمنه حينئذ الملك قالوا واقصى الدرجات في الأسفل
النبوة وهي تُنال بالعلم والعمل وفي الأعلى الملائكة وهي
ينالها من نال النبوة في الأسفل وزعت فرقة أن الملائكة
أبعاض من الله واجزأء وعندهم أنه تبارك وتعالى شيء بسيط
روحانيّ وسأهم أئمة في شمره تلاميذ الله وأعوانه مع
مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب مما يُدرك بالعقل
ولكنه يُعرف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لردّ ما سبيله
الخبر إلى غير الخبر،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدي أن النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ألا أحدثكم عن ملكٍ
من ملائكة الله أذن لي ربي في الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا قَدْ نَفَذَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ السُّفْلَى ثُمَّ
 خَرَجَ مِنْ هَوَاءٍ مَا بَيْنَ ذَلِكَ حَتَّى أَنْ هَامَتْهُ لَتَحْتَ الْعَرْشِ
 وَالَّذِي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَوْ سَخَّرَتِ الطَّيْرُ فِيمَا بَيْنَ عُنُقِهِ إِلَى
 شَحْمَةِ أُذُنِهِ لَحَفَّتْ فِيهِ سَبْعُمِائَةَ عَامٍ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهُ وَرَوَى ابْنُ
 جُرَيْجٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
 قَالَ لِجِبْرِئِيلَ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي صُورَتِكَ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا
 فِي السَّمَاءِ قَالَ لَا تَقْصِرْ عَلَى ذَلِكَ قَالَ بَلَى قَالَ فَأَيْنَ
 تُحِبُّ أَنْ أَتَخَيَّلَ لَكَ قَالَ فِي الْأَبْهَمِ قَالَ لَا يَسْتَعْنِي قَالَ
 بِعَرَفَاتٍ قَالَ ذَلِكَ بِالْحَرَى فَوَاعَدَهُ^١ ذَلِكَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْوَقْتِ فَاذًا هُوَ بِمَجْرِيئِلٍ قَدْ أَقْبَلَ
 مِنْ جِبَالِ عَرَفَاتٍ وَقَدْ مَلَأَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَسَدَّ الْحَافَتَيْنِ
 رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَرَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَلَهُ كَذَا أَلْفِ جَنَاحٍ يَنْتَثِرُ
 مِنْهَا التَّهَاقِيلُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَّ مُغْشًى عَلَيْهِ فَتَحَوَّلَ جِبْرِئِيلُ
 عَنْ صُورَتِهِ إِلَى صُورَةِ الَّتِي كَانَ يَأْتِيهِ فِيهَا وَهِيَ صُورَةُ دُجِيَّةِ
 الْكَلْبِيِّ وَهُوَ ابْنُ خَلِيفَةَ بْنِ فَرَوَةَ الْكَلْبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ
 فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقًا يَشْبَهُكَ قَالَ يَا

^١ فَوَاعَدَاهُ Ms.

محمد فكيف لو رَأَتْ اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه
 في تخوم الأرض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه يتضال
 احياناً من مخافة الله تعالى حتى يصير كالصعوة وما يحمل عرش
 ربك إلا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان لله
 ملكاً البحار كلها فى نقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
 ان لله ملكاً السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرحا
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى صفة ملائكة العذاب
 قال ما منهم ملك ألا ولو أمره الله أن يلتقم السموات
 والأرض وما فيها من شئ لهان ذلك عليه لما عظم الله من
 أجسامهم. وقد جاء فى صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
 وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هؤلاء^١
 من الملائكة ما يعتقد المؤمن الإيمان به والتسليم له وجاء
 فى صفة حملة العرش أنهم ملائكة قدر قَدَمُ أحدهم مسيرة
 سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون العول وقيل العرش
 على كواهلهم وقيل على مناقبهم ناشية فى العرش والله أعلم
 وأحكم ، وروى ابو حذيفة عن مقاتل عن عطاء ان الله يبعث

جبرئيل كل يوم الى جنة عدن فيغمس بجناحيه في نهرها ثم
يجي فينفضها [٣٣ ٧٥] فيسقط من كل جناح سبعون ألف قطرة
يخلق الله من كل قطرة ملكا قال وما يقطر من السماء الى
الأرض قطرة ألا ومعه ملك ينزل الى الأرض ثم لا يعود اليها
قال وما في السموات موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو ساجد
أو راكع لم يرفع رأسه منذ خلق فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه
فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك قال ولله ملك
موكل بالسحاب فاذا وضع قدمه في البحر مدّ واذا رفعها جزر
قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة واسرافيل ملك
الصّور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ورؤي عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الرعد ملك
موكل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد
كلما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصعه السحاب به وروى
ابن الأنباري في كتاب الزاهر ان السحاب ملك يتكلم بأحسن
الكلام ويكي ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر
بكاؤه وعن كعب لولا ان الله وكل بطعامكم وشرابكم في نومكم
ويقضتكم من يذب عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له مُعَقَّبَات

من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر [الله] وروى هشام
 ابن عمار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيد بن سلمة عن
 ابان عن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله
 ملكا له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه
 ألف فم في كل فم ألف لسان يُسَبِّح الله ويُقَدِّسه كل
 لسان بألف لغة من التسبيح فهذا وما أشبهه موقوف على
 صحة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارئ سبحانه
 وتعالى شئ وما عسى أن يقوله قائل وهو مُصدق بابتداع
 الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقة فمن لم يعجز عن هذا
 فليس عن أعجب منه بماجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
 وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
 ما حُكي عنهم وقد قيل الريح ملك وقيل من نفْس ملك
 وأذكر أنى حاجنى رجل من البهاقريديّة^١ وهم صنف من
 المجوس أطلبهم للخير وآلفهم عن الاذى فى دفننا موتانا ما تعنينا
 بذلك فقال ان الأرض ملك وانتم تلقمونه الموتى فكيف
 تستحسنون ذلك وقد يرى بعض الناس ان الشياطين كل

^١ البهاقريديّة . Ms.

شَرِيْزٍ دَاعِرٍ^١ وَالْمَلِكُ كُلٌّ خَيْرٌ فَاضِلٌ وَمَذْهَبُ الدَّابَائِرِ مَا
حَكِيْمًا وَوَصَفَنَاهُ ،

القول في الملائكة أمكلفون أم مجبورون وهم أفضل أم
صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرون الى افعالهم مجبورون
عليها ورؤى عن ابن عباس أنه قال في قوله يُسَبِّحُونَ
الليل والنهار لايفترون ان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا
وقال آخر هم مكلفون مجبورون لأنّ الله تعالى يقول
ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ولا يصح
الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال أنى جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدلّ هذا
القول منهم على اختيارهم وقال لا يمضون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المصيبة لما كان
يمدحهم بترك المصيبة ومعنى قوله يسبحون الليل والنهار لايفترون
مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطعهم عنها ما يقطع
الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عباس رضى الله عنه أنّ

^١ كذا في الأصل. Ms. marg.

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [r° 34 r°] في سرعة الموائاة
 والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه
 ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم
 على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقرب المنزل
 ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوة على الطاعة وتجديد الجِدَّة
 والنشاط في العبادة وآخر انه اخداهم أهل الجنة وليس
 الثواب ككله المَطْعُمُ والمشْرَبُ لانهم ليسوا بذوى أجسام
 مجوّفة فيلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المحوّفة
 وقد قيل أن ثوابهم ان يستجيب دعاؤهم في الموحدين وذلك
قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل
 شيء رحمةً وعلماً الآية فطاعتهم مذ خُلقوا ان يستجاب في
 الموحدين ولهم مسئلة وتضرع وطاعتهم بعد ذلك بشكر
 وبرف^١ واختلفوا في الملائكة وصالحى المؤمنين أيهم أفضل
فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجوا
بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

^١ كذا فى الأصل. Indication marg.

ولا اقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ألا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواب يوسف ما هذا بشرًا إن
هذا إلا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤْمرون وقوله تعالى يَسْبَحُونَ الليل والنهار لايفترون وقوله
ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً فلما لم يُلْ على
 من خلقنا علمنا ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل
 يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعزى عن معصيته
 وكيف بفضيلة عمل مَنْ أَقْصَى عُمره مائة سنة وفضيلة مَنْ
 عُمره الأبد وذهب إلى أن صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
 مشقة الطاعة مع منازعة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل
 بالتيب خوفاً وطمعاً وإنى يقع طاعة من أَصْفَى عن شوائب
 الهوى وأخلص من مزاحمة^١ الشهوة وأمدّ بظلّ العصمة وحرس
 من الوسوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
 موكل به اعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وأنما يستحق

العمل تمام الفضيلة بإحتمال الكذب والعناء والمشقة فيه قالوا
 وليس ينكر^١ ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
 أهل الاسلام حتى تكرمنا^٢ ما تلاه خصنا من الآيات وإنما
 تفضيلنا فاضلي المؤمنين وصالحهم وقد أسجدهم الله لصفته
 آدم ءم فهلا كان ذلك على سبقه بالفضيلة وقال جل
وعز وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدم صالحى المؤمنين
 بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
 الإيمان بهم أكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال
 الله عز وجل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
 حوّل لبني آدم وحفظه عليهم وقد روى فى الحديث ان
 الملائكة سألو الجنة فقال الله سبحانه لا أجل صالح
 من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وروينا عن كعب
 أنه قال ركب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
 البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقله

^١ . Ms. شكر .

^٢ . Ms. تكرمنا .

شهوته فهو خير [٣٠ 34 ٣١] من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم واحتج بعض المتأخرين بقول شاعر يمدح ابن موسى الرضا ويقال هي لأبي نواس [خفيف]

قِيلَ لِي أَنْتَ أَوْحَدُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَقَالٍ مِنَ الْكَلَامِ النَّبِيِّ
لَكَ مِنْ جَيْدِ الْكَلَامِ نِظَامٌ يُجَنِّى الدُّرَّ مِنْ يَدَيِ مُجْتَنِيهِ
فَلَمَّاذَا تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى وَالْحِصَالَ الَّتِي يَجْعَلْنَ فِيهِ
قُلْتُ لَا أَهْتَدِي لِمَدْحِ إِمَامٍ كَانَ جِبْرِيلُ خَادِمًا لِأَيِّهِ

ذكر ما جاء في الحجب اعلم ان الحجاب لا يوجب حداً على الارسال لان الله محبوب عن خلقه ولا يطاق القول بأنه محدود لأن الحجاب يحتمل وجوهاً من المعاني وروى وهب بن ابي سلام سأل رسول الله صلعم هل احتجب الله بشيء عن خلقه غير السموات فقال نعم بينه وبين الملائكة الذين هم حملة العرش سبعون حجاً من نور وسبعون حجاً من نار وسبعون حجاً من ظلمة حتى عد خمسة عشر وفي حديث المراج فانتهيت إلى بحر من بحر اخضر فسودي ان ارح محمداً في النور رجا وذكر عدة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران
الحرّاني عن زُرارة بن أوفى قال قال رسول الله صلّم
يا جبرئيل هل رأيت ربك قال يا محمد بيني وبينه سبعون
حجاباً من نور لو دَنَوْتُ من أدناها لاحتَرَقْتُ وفي حديث أبي
موسى الأشعريّ لو انكشفت سُبُحاتُ وجهه لاحترق ما عاها
من شيء، ويسير هذا ككَلَمَ ما روى عن الحسن انه قال
ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين ربّ
العرّة سبع حجب من حجاب العرّة وحجاب الجبروت والعظمة
وليست ممّا يوجب الحدّ في الاحتجاب لانّها ليست بأجسام
حاملة بين الحاجب والمحجوب ولكنّه يمتثل في بُعد وقوع
الحوائس وقطع الاطماع في الإحاطة به والاختصاص بالعظمة
والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العباد وتعظيم البارئ
وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما
لا يُدرّكه حواسهم ولا يتصوّر في أوهامهم باطلاق لا شيء
ويدلّ على هذا التأويل ما روى في الخبر العظمة إزارى
والكبرياء ركابى^١ فمن نازعهما ألقِيَتْهُ في النار ولا أبالى فهل

^١ Ms. en marge ردائي.

يمرض لسمع شك في أن العظمة لا يتزر بها والكبرياء لا يتردى
بها ولكن الوجه ما ذهبنا إليه والله اعلم، وصفة الحُجب
موجودة في أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمدُ والنعمة والشكرُ رَبَّنَا فلا شيءَ أَعْلَى مِنْكَ حَدًّا وَأَمَجْدُ
مليكٌ على عرش السَّاءِ مُهَيَّيْنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الوجوهَ وَتَسْجُدُ
فلا بَشَرٌ يسرُ إليه بطَرْفه ودُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلَقَ مُؤَيَّدُ

ذكر ما جاء في سدرۃ المنتهى وهي مذكورة في كتاب الله
عز وجل روى أنها على هيئة شجرة [r 35 f] يمر الراكب في
ظل فنن منها ^١ سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقلال وورقها
كأذان الفيلة يأوى إليها أرواح الشهداء والصديقين في
صورة فراش من ذهب يقول الله عز وجل عند سدرۃ المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرۃ ما يغشى وقد ذكرها
حسن في شعره

مقامٌ لدى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى لأحمدَ لَا شَكَّ لِلْمُرْتَضَى

١. كذا في الأصل Lacune; note marginale

وقوله تعالى عندها جنة المأوى يُردُّ قول من يزعم أن السدرة
 الشجرة التي كان النبي ﷺ [تحتها بحراء] اذ نزل عليه جبرئيل
 بالوحي اللهم الا ان يشبهه بقوله] ^١ إن منبري هذا [نز] ^٢ عة
 من نزع الجنة وقوله عم بين قبري ومنبري روضة من رياض
 الجنة فيكون مذهباً وكذلك قوله عم الجنة تحت ظلال
 السيوف غير أن الاخذ بالظاهر على القول الأول أعرف
 وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وإنما سُميت سدرة المنتهى
 لأنها منتهى علم العلماء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبياء
 ما وراءها إلا الله وحده ^٣ وسمتُ بعض القرامطة يتأولها بعلومهم
 بحراء محمد ﷺ ما علمه وأفشاه السر إليه لما رأى فيه من
 الامارات وتوسمه فيه فض الله أفواههم وخيب آمالهم،

ذكر الجنة والنار لا أعلم أحداً من أهل الأديان يُنكر
 الجزاء من الثواب والعقاب وان اختلفوا في صفته واسمه
 ومكانه ووقته لأن في ابطال الجزاء ابطال الأمر والنهي
 والوعد والوعيد وإجازة افعال الخلق وارسالهم ويؤدى ذلك

^١ Addition marginale.

^٢ Lacune.

^٣ Note marginale كذا في الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجييله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة
مُعَلَّقة بأصل التوحيد وذلك أنه لما قامت الدلالة على
إثبات الباري جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يحز أن يكون
شئ من أفعاله غير حكمة وصواب فقلنا أن الحكيم لم
يخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ولا سهواً ولم يأمرهم ولم
ينهمهم إلا للثواب الذي عرضهم له والعقاب الذي حذرهم
وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن نلنّ به غير الحقّ فالجزاء
يوجبه مُوجب التوحيد وحجته حجته ثم لطباق أكثر أهل الارض
على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت العارضة يكشفها
حجة العقل واجتماع الخلق فأى عذر بمدّها لمتخالف عنها أو
مائل الى ضدّها وان أحسن من نفسه بنفرة فأولى به أن
يتهم عقله دون عقل المؤمنين والأئم والأجيال فاما القول فى
أنيّة الجزاء وماهيته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشى يتبع فيه الاختيار
ولو شاء الله يمجى بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب
النعمة والاعتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة
أعظم من دوام البقاء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى
أكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس في الجنة والنار قرأت في شرائع
الحرانيّة أنّ البارئ عزّ وجلّ وعد من أطاع نعيماً لا يزول
وأوعد من عصى المذاب بقدر استحقاقه وهذا تاموس أكثر
القدماء ومنهم من يزعم ان النفس الشريرة التي عالت في هذا العالم
وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست في الأثير وهي نار
في أعلى علو العالم والنفس الحَيِّرة التي استفادت الفضائل تعود
الى عنصرها الأزلّي ومنهم من زعم ان الفاضل يعلو في العلو
والراذل يتسافل فيبقى في الظلمة والحمود وقد قال
ارسطاطاليس [٢٥ 85] ان العلو الأعلى محلّ الخلود وإنّ السفلى
الاسفل محلّ الموت وعامة أهل الهند يُقرون بالجزاء والذين
يهلكون أنفسهم بأنواع المذاب من القتل والحرق والفرق
يُزعمون أنّ جوارى الجنة يُختطفنّه قبل زهوق نفسه وأنما
أثبتّ هذا لأبَيّن لك إقرارهم بالجنة في كفرهم وجهلهم
وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأنّ ذكر الجنة
والنار في غير موضع من كتابهم إلا أنّهم مختلفون في صفاتها
بالجنة فتسمّى بالعبرانيّة برديسا وبالعبريّة كئماذن ويزعم طائفة

١ Ms. السفلى ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنه إذا كان يوم القيامة أظهرت جهنم من وادي
 ' وأُحرِث نارا في الوادي وتُصب عليه جسر وأظهرت
 الجنة من ناحية بيت المقدس وأمر الخلق أن يسيروا عليه
 فمن كان منهم برئا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثما تهافت
 في النار وزعمت فرقة منهم أن الجنة والنار يفنيان وذلك
 بعد ألف سنة من وقت أن صار الناس إليهما ثم يصير أهل
 الجنة ملائكة وأهل النار رميما وزعم آخرون أنهما لا يفنيان
 أبداً وأما المتناسخة وأنهم يرون الجزاء في النسخ والمسخ
 ويزعمون أن من استمر على طبع من طباع السباع والبهائم حول
 إلى صورته عقوبة له ومن تعاطى الحق وكف عن الأذى
 وتجمل بالجميل حول في صورة ملك أو قائد أو رئيس وهذا
 مذهب كثير من القدماء، ومن المعطلة من لا يُنكر الجزاء
 في الدنيا بالفقر والفاقة والآلام والأحزان ما ارتكبه من
 قبيح والسعة في الدنيا والراحة والفرح واللذة جزاء ما عمله
 من جميل ويزعم السمنية من الهنود أن من كان قليل الخير

‘ Lacune remplacée dans le ms. par trois points . et note marginale كذا في الأصل.

يصير كاسف البال رث الهيئة يأتي لأبواب فلا يتصدق عليه
ومن كان كثير الخير يصير مَلِكًا عظيمًا عزيزًا فمن أطعم الطعام
أصاب القوة لأن البدن تقوى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب
الجمال ومن أوقد في الظلم أصاب حُسن المش لأن الصباح
يطرُد الظلمات ،

ذكر اختلاف المسلمين في الجنة والنار اعلم أنهم فيها على
ثلاث فرق فزعمت المعتزلة إلا أبا الهذيل وبشر بن المعتز أنهم
لم يخلقوا بعد وأنهم يخلقان يوم القيامة واجاز النجار أن يكونا
خُلقتا وأن لم يخلقوا بعد وأنهما يخلقان يوم القيامة وقال
سائر المسلمين أنهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجوا بآي من
القرآن وأحاديث من السنة فمنها قيل ادخل الجنة قال ياليت
قومي يعلمون وقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتًا بل احياء عند ربهم يرزقون وقوله تعالى وجنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فهل يجوز أن يُعدَّ غير
مخلوق وجاء في الحديث أن الله خلق الجنة كذا وكذا بصفات
مضبوطة في الكتب وقال وانتقوا النار التي أعدت للكافرين
وقال النار يمرضون عليها غدوًا وعشيًا وقال ويا آدم اسكن

انت وزوجك الجنة وقال مخالفوهم أن الجنة والنار ثواب
 وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقان إلا بعد وجود الأعمال
 الموجبة لها قالوا ولو كانت الجنة مخلوقة فأين مكانها وهي
لا تسمها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض
وتأولوا كل ما في القرآن والسنة من ذكرهما على العدة
المنتظرة وقد قال الله عز وجل ان الأبرار لفي نعيم وان
 الفجار لفي جحيم فأخبر عنهم وليسوا في الوقت قالوا وغير
 ممتنع على الله تعالى أن يخلق كل يوم جناتاً ويفنيها أو
 يقيها^١ [٣٨ ٣٨] كما يشاء وان ينعم أرواح المطيعين في جنة
 يخلقها لهم أو في غير جنة ويمدب أرواح الظالمين في نار أو
 في غير نار وقالوا وقد سقت عدته في افتاء ما خلق وثوابه
 وعقابه غير فائتين أبداً فإن كانا موجودين فلا بُد من
 فائتها وذلك خلاف وعده فلا مبدل لكلماته قال خصمآؤهم
 ليست الجنة والنار ثواباً ولا عقاباً إنما هما مقر الثواب والعقاب
 فيها يُثاب ويُعاقب والاستثناء فد تناولهما من الفناء والهلاك
 لقوله إلا ما شاء ربك ولحكمه عليها بالسرمدية

والأبدية وكما أنه وعد ان يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هؤلاء في مكان الجنة فقال بعضهم هي في الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بان هي في عالم لها ولله عوالم الخلق ما يشاء وقال بعضهم بل هي في السماء السابعة سقفها عرش الرحمن وروى خبراً وزعم بعضهم أنها مخلوقة ولا يُدْرَى أين هي وليس يجب أن يسكنها الله في مكان كما أمسك العالم لا في مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُفلى وروى فيه خبراً

ذكر صفة الجنة والنار أجمع ما في القرآن لوصفها قوله تعالى وفيها ما تشبه الانفس وتلدّ الأعين وانتم فيها خالدون وأجمع خبر فيها خبر ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلعم فيما يحكى عن ربه عز وجل أعددت لِمَبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبَلِّغْ ما اطلعت عليه قال ابو هريرة رضى الله عنه ومصدق هذا في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه حمزة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن محمد بن

الحنفية^١ أن النبي ﷺ قال حدثوا عن الجنة بما شئتم فلن
تحدثوا عنها بشئ، إلا وهي أشد منه فمن هاهنا استجاز من
استجاز صفة الجنة والنار بما لم يأت في الرواية لأن الواصف
وإن أفرط في الوصف لم يعد مَدَى خاطر همته وغاية معرفته
لا يبلغ كنهه ما فيها ولا يعضه لأن نعم الله ونعمه فوق ما يُحصيه
المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبدًا وقد سُئل رسول
الله ﷺ عن أهل الجنة فقال جُرْدُ مُرْدٍ مكملون من أبناء ثلاث
وثلاثين سنة هذا من طريق حماد بن سلمة عن علي بن مريد
عن المسيب عن أبي هريرة وفي رواية أخرى من أبناء ثلاث
وثلاثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب إبراهيم
وطول آدم وصوت داود ولسان محمد صلى الله عليه وعليهم
اجمعين وقال أبو هريرة إن أهل الجنة ليزدادون جمالًا وحُسنًا
كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرمًا وأنكر قوم من أهل
الكتاب الأكل والوطئ في الجنة وذلك أن منهم من
لا يرى البعث إلا للأرواح فكذبهم الله في القرآن بذكر
الطعام المُؤازى التي وصفها في الجنة وروى^٢ عن النبي ﷺ

^١ الحنفية Ms.

^٢ ورو. Ms.

لما يذكر الجنة قال إن الرجل منهم يُغطى قوة ألف رجل في
الطعام والجماع قالوا وكيف المس يا رسول الله قال دحماً
دحماً إذا قام عنها رجعت مطهرة بكرةً بذكر لا يملّ وفرج
لا يحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود من أكل ينوط فقال
النبي صلعم [٣٨٨ ٧] ولا يتغوطون وإنما هو عرق يفيض من
أعراضهم مثل البسك فتضمّر له بطونهم وسئل عن النوم
فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون وسئل
عن الولد قال فتنة ورؤى انه قال لو أرادوا لكان حمله
ووضعه ونشوه في ساعة واحدة وسئل عن المرأة التي يكون لها
زوجان لمن تكون في الجنة ففي رواية حذيفة أنه قال
تكون لآخر زوجيها ولما خطب معاوية أم الدرداء قالت
لست أبني بأبي الدرداء بديلاً سمعته يقول قال رسول الله
صلعم المرأة لآخر زوجيها ولذلك حرم أزواج النبي صلى الله
عليه من بعده ليكن أزواجه في الجنة ورؤى عن الحسن انه
قال تخير المرأة فتختار أحسنهما خلقاً وسئل ضمرة بن حبيب
أيدخل الجنة فقال نعم واستدل بقوله تعالى لم يطمئنّ انس

قبلهم ولا جانَ فلانس أنسيات ولجنَ جتيات وسئل ابو العالية
عن أوقات الجنة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم في نور أبداً وإنما يعرفون
مقادير الليل والنهار بارخاء الحُجب وفتح الابواب وسئل الحسن
عن الحور العين فقال عجائزكم هولاة الممش الرُمص وتلا
أنا انشائهن انشاء فجلنساهن ابيكاراً الآية فقال ويطون
أزواجاً غيرهن من الحور العين وفي حديث ابن المبارك عن
رشيد بن سعد عن ابن أنعم ان مَنْ دخل من نساء أهل الدنيا
الجنة فُضِّلَ على الحور العين بما عملن في دار الدنيا وهذه
الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوام الأمة واستغناها عن الأسانيد
وسئل عن قوله عز وجل وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ
الاعين فلو اشتهت ما يستقبحه العقول كالقتل والنصب
والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأن هذا
وما أشبهه مما لا يشتهون في الجنة لأنها ليس فيها كما
لا يشتهون الموت والمرض والذل والفاقة لأنها ليست فيها
فنجس طباعهم عن التشوق إلى ما يستقبح في العقول وينسون

• ذكرها واعلم هداك الله أن كل ما وصف به من ذهبها
وفضتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كلها
على الحقيقة في الاسماء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض
وثمارها بقول الله عز وجل وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو
كانوا يعلمون وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن أسامة بن
زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن الجنة فقال نور يتلألأ
وحدثنا الحسن بن هشام المبسى عن وكيع عن الأعمش عن ابن
عباس رضى الله عنه قال ليس فى الجنة شئ مما فى الدنيا
إلا الاسماء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمع آية فى وصف النار قوله
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان
مرسلاً حدثوا عن النار بما شئتم فلن تحدثوا عنها بشئ، إلا وهى
أشد منه والذي يوجب القياس الشديد أن يكون كل ما وصف
به النار من أغلالها وانكالها وحياتها وعقاربها وأوديتها ومقامها
وسائر ما ذكر فى القرآن والأخبار خلاف ما هو فى الدنيا
كما قلنا فى صفة الجنة وإن يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأن النار دار خلود كما أن الجنة دار
 خلود [٢٣ ٣٧ ٢٤] وسئل ابراهيم النخعي عن صفة نار جهنم فقال
 نادكم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولقد ضرب بها
 البحر مرتين ولولا ذلك لما انتفعتم بها وسئل الحسن عن
 النار فقال يصير البحر ناراً ثم تلا واذا البحار سُجِّرَتْ فقال
 يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليها من الجنوب ريحاً ويُسلط
 عليها الشمس حتى يسجرها فتصير ناراً فجعلها الله محبساً لأهل
 المعاصي وزعم قوم أن النار مخلوقة اليوم وأنها تحت تخوم
 الارضين السفلى والبحار هي الحاجزة عن الخلق وأن حرارة
 الشمس وحمى الصيف مؤخرها^١ ورووا أن النار اشتكت فقالت
 أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الصيف
 ونفس في الشتاء وأراك أشد ما يكون في الحر والبرد وفي
 الصحاح من الحديث ابدوا بالظهر فإن في شدة الحر من فيج
 جهنم واستعظم قوم بقاء ذى روح في النار وذلك لقصور
 علمهم لأن النار ضروب كالآثير الذي يزعمون في علو الهواء.

^١ فيصير . Ms.

^٢ مؤخرها . Ms.

وكالنار الكامنة في الحجر والشجر وقد سُئِلَ ابن عباس رضى
 الله عنه فيما رَوَوْا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
 وهى ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهى النار فى
 الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر ونار تأكل
 ولا تشرب وهى نار جهنم تأكل لحومهم ولا تشرب دماءهم
فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أن نار جهنم خلاف النيران
التي ذكرها بقول الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلوداً غيرها فأخبر سبحانه أنه يُبدل لهم الجلود لتبقى لهم
الأرواح لا تأتى عليهم النار فيُفنيهم وقد أَرانا الله من قدرته
فيما ركب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلنا به على جواز بقاء
ذى روح بالنار كالنعام التي تأكل النار ولا يضرّها والطائر
الذى يدخل النار فلا تُحرقه وما أراه جعل ذلك إلا عبرة
فدلنا على جواز بقاء الحياة فى أهل النار وآلا فما جاز فى طباع
الحيوان الاعتداء بالنار والحديدة المَحْمَاة وجاء فى صفة أهل
النار بالعجيب الفظيع فمن ذلك ما روى أنه سُئِلَ أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يَعْلَلُ يَأْتى بما غلّ
يوم القيامة وكيف يأتى من غلّ مائة بعير ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحد وفخذه مثل ورقان وساقه
 مثل البيضاء ومجلسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن
 أنس قال مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون
 ذراعاً وبطنه لو وُضع فيه جبل لوسعه وأنه ليبيكى حتى يصير
 في وجهه أخاديد من الدمع لو طُرح فيها السفن لجرت كذا
 الرواية والله أعلم ، وأعلم أن كل ما يُوصف من الجنة والنار
 فسييله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذى هو
 الجزاء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكراً
 للأصل حتى يُقرَّ به ،

ذكر اختلاف الناس فى بقاء الجنة والنار وفنائها قرأت فى
 شرائع الحرائين أن للعالم علة لم يزل وأنه واحد لم يتكرر
 ولا يلحقه وصف شىء من المعلومات كلف أهل التمييز الإقرار
 بربوبيته وبث الرسل للدلالة وتثبيت الحجة فوعدوا من
 أطاع نبيماً لا يزول وأوعدوا من عصى عذاباً بقدر استحقاقه
 ثم ينقطع وقال بعض أوائله أنه يعذب سبعة [٣٧ ٧٠] آلاف
 دُور ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على
 كثرة اختلافها يجمعها نخلتان السنية المعطلة والبراهمة الموحدة

وكلهم مُقَرَّنُونَ بِالْجَزَاءِ. وَأَنَّ الْعَذَابَ سَيَنْقُطُ يَوْمًا وَالسَّمِيَّةَ تَقُولُ
 أَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ موجودان في هذا العالم بالحِوَاسِّ جزاء ما
 اكتسبته النفوس بآقية خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد
 وأنها لا يزال ساكنة الأبدان فإذا فارت جسدًا لم تُعَذِّبْ
 فيه أبدًا وأنها تتناسخ على فعالها لا يأتى أمرًا إلا على قدر هواها
 وهمتها فإذا اجتاحت السيئات أثرت تلك الأفعال في
 جوهرها وصار غرضًا لازمًا لها فإذا فارت الجسد ذهبت
 بذلك التأثير إلى الجنس الذى لا يلايم هممتها فتلاسه فيصير
 بذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ في أجساد الحيوان
 ككله من الهوام والانعام والآنعام والطير فى البر والبحر قالوا
 وأشد ذلك كله إذا حوِّلت في جسد حيوان تحت الأرض
 حيث لا ماء ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحر
 والبرد ثم تُجَبِّوْنَ^١ إلى جهنم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأخراها
 ثم يعود من جهنم القهقرى إلى وجه الأرض للعمل قالوا وأتى
 عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالصدِّ مما وصفنا فيلبس
 الجمال والكمال والصحة والأمن والقوة والإنس والنشاط

والمُلك والعزّ وطيب النفس ويصير آخر ذلك كلّهُ الى
الجنة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثم يرجع الى الدنيا للعمل
قالوا والجنة اثنتان وثلاثون مرتبة ويمكث أهلها في أدنى مرتبة
منها أربع مائة ألف سنة وثلاث وثلاثين ألف سنة وستمائة
وعشرين سنة وكلّ مرتبة أضفاف ما دونها بحساب يطول عدده
قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها بتجانب الصفات
من الحريق والزهرير وزعموا أنّ من قتل شيئاً من الحيوان
دون الناس قُتل به مائة مرّة ومرّة ومن قتل إنساناً قُتل به
ألف مرّة ومرّة قالوا وليس عُضْرُ من الأعضاء قبيح أو سيح
خلقه إلا وقد أتى صاحبه بذلك العُضوداهية من الدواهي
هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر في سائر الأمم وليس من
أمة من الأمم إلا وهي مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إمّا التناسخ
وإمّا الذخر في الآخرة وأجمعوا أنّ العذاب بقدر الاستحقاق ثم
ينقطع وزعم كثير من اليهود أنّه إذا أتى على الجنة والنار ألف
سنة بعد ما صار اليهما أهلها فنيّتا وتعطلتا وصار أهل الجنة
ملائكة وأهل النار رميمًا واحتجّوا بقول الانبياء الاثنى عشر

أنه مكتوب في سفر يهوشوع^١ أن الله يقول إن تمسكت
أمرى وأنمت ميثاقى أعطيتك موضعاً وسطاً هولاء الواقفين
قدامى وقال فى أهل النار يصيرون رمياً تحت أرجل معاشر
أهل الجنة وسمت رجلاً من يهود عليهم اللعنة يزعمون أن
منهم من يقول أن العالم ينقضى فى كل سنة ألف سنة
ويجدد وأن يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنة ويوم
الأحد يوم الابتداء والله اعلم بما قال وكثير منهم يقول
ببقاء الجنة والنار على الأبد ويحتجون بقول شemia فى سفره أن
أهل الجنة يخرجون ويرون أجساد الذين عصوني لا يموت
أرواحهم ولا تتمد نارهم والمجوس يزعم أن النسي^٢ يجازى
بقدر استحقاقه بعد موته [f° 38 r°] بثلاثة أيام كفاء ما فعل
سواء لا زيادة ولانقصان ومنهم من يزعم أن الجنة والنار فى
الدنا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر ،

ذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل زعمت طائفة منهم
أنه لا بد من فناء النار وانقضائها يوماً ما رَوَوْا فيه روايات
فرووا عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يأتي على جهنم

زمان تحقق^١ أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقاباً
 وعن الشعبي جهنم أسرع الدارين خراباً وعن عمر رضى الله
 عنه وأرضاء لو لبث أهل النار في عدد رمل عالج لكان لهم
 يرجون واحتجوا بأشياء من باب التعديل ولم يختلفوا في بقاء
 الجنة على الأبد وقالوا آخرون أنها مؤبدتان دائمتان لا تفتيان
 ولا تزولان واحتجوا بأنه لم يكن لنعم الله انتهاء وجب ان
 لا يكون لنقمه انقضاء ورووا عن الأوزاعي انه ذكر هذه
الروايات التي احتج بها الأولون وقال قد كان الناس يرجون
لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض إلا ما شاء ربك وقوله لا يئس فيها أحقاباً فلما نزلت
في المائدة وهي آخر ما نزل في القرآن يريدون ان يخرجوا
 من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها
 لا تفتى ابداً فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان
 يعاقب على جرم منقضى بمقوبة غير منقضية قيل هو الجزاء
 على السواء وكما انه لم تقصر مدة عمره على الكفر في دار
 الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدة عمره في الآخرة

وأيضاً فإنّ نعمة ما لم تكن منتهية وجب ان لا يكون نقمة
منتهية وقد كانت العرب في جاهليتها تؤمن بالحرّاء ومن نظر
منهم في الكتب كان مُقرأً بالجنة والنار فنه قول أميّة [وافر]

| | |
|-------------------------|--|
| جهنّم تلك لا تبغى بقياً | وعدن ^١ لا يطالها رجم ^١ |
| إذا جهنّم ثم فارت | وأغرّض عن قوابها الجحيم |
| يجب بصنديل صم صلاب | كان الصاحيات لها قضم ^٢ |
| فتسموا ما يعينها ضواء | ولا يحبر فيبردها السوم |
| فهم يطفون كالآقذاء فيها | لئن ^٣ لم يغفر الربّ الرحيم |
| بدائية من الآفات نزو | برآء لا يرى فيه سقيم |
| سواعدُها تحلب لا تصرى | بها الايدي محللة تحوم |
| يفيض حلابها من غير ضرع | ولا بَشَم ولا فيها جُزؤم |
| فيحرم عنهم وكلّ عرق | عجيج ^٤ لا احذ ولا يتيم ^٥ |
| فذا عل وذا لبنٌ وخمر | وقع في منابته صريم |
| ونخل ساقط الاكتاف عد | خلال أصوله رُطب قيم |
| وتفاح وروانٌ ومروز | وماء بارد عذب سام |

^١ Ms. رجم.

^٢ Ms. قضم.

^٣ Ms. لين.

^٤ Ms. عجيج.

^٥ Ms. ييم.

وفيها لحم شاهدة ونحر^{*} وما فاهرا لهم فيها مقيم
وحود لا يرين الشمس فيها على صُور الدُمى فيها سُهوم
نواعم في الأرائك قاصرات فهن عقائل وهُم قروم
على سُرُر ترى متقابلات الأثَم النظارة والنعم
عليهم سندس وجناب رَيط وديباج يرى فيها فيسوم
وحُلُو من أساور من لُجين ومن ذهب وعسجة كريم
ولا لغو ولا تأثيم فيها ولا غول ولا فيها مُلم
وكأس لا يصدع شاربِها يلد بحسن رويتها النديم
يصنّوا^٢ في صحاف من لُجين ومن ذهب مباركة رذوم
إذا بانوا التي اجرّوا اليها تقبلهم وحلل من يصوم
وخفقت البدور وأردفتهم فضول الله وانتهت القُصوم

[٢٥ 38 ٧٥] اعلم أنّ هذه الاشياء مما جاءت به الرواية والخبر
فنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفریق
والمسلمون لا يختلفون في أساميها وإنما الخلاف في معانيها
فإنما الصراط فقد جاء في الحديث أنه يُنصب جسرٌ على ظهر

* نحر. Ms.

٢ يصنّو. Ms.

جهنم ويحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنة جازه ومن
 كان من أهل النار تهافت فيها وقيل في صفته أنه أحد من
 السيف وأدق من الشعرة دخص^١ منزلة وفيه كالإلب
 وخطاطيف وسندان مضرسة وحسك مفلطحة مسيرة كذا سنة
 صعوداً وهكذا هبوطاً وكذا وطاً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
 من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من
 يمر كالطير الهادي ومنهم من يمر كالجواد المضمر ومنهم من يمر عدواً
 ومنهم من يمر هرولةً ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يزحف
 زحفاً ومنهم من يحبوجبوا ومنهم من يحتضنه بكشحه وصدرة
 والزآون والزآلات^٢ كثير وقد أجيب من يزعم أى ظلم أعظم
 من حمل الناس على ما هذه صورته أنه جعل تمييزاً بين
 أهل الطاعة وأهل المعصية وعلامة للحق على هلاك من هلك
 ونجاة من نجا وقد جاء في بعض الأخبار أن أهل الطاعة
 يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوى تحت أقدامهم كما
 ينزوى الجلدة من النار فاذا استقروا في الجنة قالوا ما بالنا
 لم نحر الصراط ولم نرد النار التي وعدنا فيقال انكم جُزتم الصراط

١ دخص Ms.

٢ الزآون والزآلات Ms.

في الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهي خامدة ومن هاهنا ذهب من ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلف من مشقة الطاعة ومجاهدة النفس فيما ينزع اليه وعلى هذا فسر بعضهم فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقة الآية وأما المعتزلة وأهل النظر فإنهم يذهبون إلى أن الصراط هو الدين الذي أمر الله بلزومه والتمسك به وكان أبو الهذيل من بينهم يحجز ما جاء في الخبر كما جاء ويحتج بما ذكرناه بدءاً وأما الميزان فروى كثير من المسلمين انه خلق على هيئة الميزان التي يتعاطاه الناس بينهم في معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفي كتاب وهب عن ابن عباس ان له كفتين وعموداً كل كفة طباق الأرض احدهما من ظلمة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب وهو معلق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسعد فلان والأشقى فلان فإن صحت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه في الصراط انه جعل مميزاً فارقاً وهو قول أبي الهذيل يجوز ان يُنصب^١ ميزان يجعل رُجحانه علامة لمن نجا وخفّته

^١ ينضب . Ms.

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمة ان
الميزان مثل لتسوية الجزاء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد
والضحاك الشعبي واحتجوا بقول الناس للرجل الأمين العدل
ما هو إلا كالميزان المستقيم ألا ترى الى ما يرى به عمر بن عبد
المزيز رحمه الله
[بسيط]

قد غيب الدافنون التراب اذ دفنوا بدير سحمان قسطاس الموازين
وانشد الفرّاء بيتاً
[كامل]

قد كنت قبل لقائكم دامية عندي لكل مخاصم ميزان

[٣٨٨] ويسمى الحجة ميزاناً والله اعلم واحكم وختلفوا في
الموزون فقال قوم يُوزَن عين الأعمال فتخف السيئة لأنه
يأتيها الإنسان بخفة ونشاط وتثقل الحسنة لأنه يأتيها ببناء
وكلفة وقالت طائفة بل يوزن صُحف الأعمال وهو قول ابن
عبّاس رضي الله عنه ويعضد رواية عبد الله بن عمر عن
النبي صلعم يُوزن برجل يوم القيامة ويُوثق بتسعة وتسعين سجلاً

¹ Ms. ع, corrigé d'après le vers de Férâzdaq cité par Mac-
'oùdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445

كلّ سجلّ مدّ البصر فيها ذنوبه وخطاياہ فيوضع في كفة ثم يخرج له قرطاس مثل واشد بطرف سبابة على بعض إبهامه فيه شهادة ان لا إله إلا الله فيوضع في الكفة الأخرى فيرجع به وقال قوم يوزن ثواب الأعمال وذلك ان الله يظهره في صورة ويُحدث عند الوزن ثقلًا في الطاعة وخفة في المصيبة وكلّ ما حكى وروى ممكن والله أعلم بالحق وأما الأعراف فذكر أنّه كسور بين الجنة والنار يوقف عليها قوم إلى أن يقضى الله تعالى بين خلقه مع اختلاف كثير في من يقام عليه ويدلّ على أنّه من الجنة قوله عزّ وعلا ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله^١ وفيه يقول أمية بن أبي الصلت

وآخرون على الاعراف قد طعموا بحمّة حقّها الرّمّان والعَصْرُ

منهم رجالٌ على الرحمن رزقهم مكثّر عنهم^٢ الاخبات والرزْدُ

وأما الصور فإنّ الرواة مختلفة فيه فروى أنّه كهيئة القرن

^١ Ms. ربكم.

^٢ Ms. عنه.

يُجمع فيه الأرواح ثم يُنفخ منه في الأجساد عند البعث وقال
قوم يخلق الصور يوم القيامة وتأولوا قوله وهو الذى خلق
 السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قال يقول
 للسموات كونى صوراً يُنفخ فيه وقال بعضهم الصور جمع الصورة
 وإن صح الخبر كيف انهم وصاحب الصور قد التقمه وحنا
 جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول به وأما
 الحوض جاء فى الحديث بروايات مختلفة وقال كثير من
 أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبى صلعم وروى ما بين
 جنبى حوضى كما بين صنعاء وإيلة وآيته فى عدد نجوم السماء
 مائه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأشدّ بياضاً من اللبن
 من شرب منه شربة لا يظأ بعدها أبداً وقال قوم فى تأويل
 الحوض انه عمله ودينه وطريقته والله أعلم ،

• واسته Ms. '.

تم الجزء الأول

M. H. Asadi's Publications Series ~~checked~~

THE BOOK OF CREATION AND HISTORY

By

MOTAHHAR b. TAHIR al-MAQDISI

sometimes regarded as the work of

ABU ZAID AHMAD B. SAHL al-BALKHI

edited by

PROF. CL. HUART

~~Other reproduction~~ from the Publications de l'École des langues orientales
vivantes, Paris, 1899.

Vol. 1

**TEHERAN
1962**

